

التأثيرون في التاريخ

٢

الملاك صيف



[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

923.2  
T367A  
v.2

الشَّاهِرُونَ فِي الْتَّارِيخِ

تأليف: دار الحكمة

— باشراف —

عَلَى نَاصِرِ الدِّينِ

— الجزء الثاني —

الملِك سَيِفٌ





جَمِيعِ الْعِلْمَوْنِ مُحْفَظَةٌ لِدَارِ الْحِكْمَةِ  
بَيْرُوت

## مقدمة

كانت الحلقة الاولى من سلسلة «الثائرون في التاريخ» ،  
التي تعنی «دار الحكم» باصدارها ؛ دراسة للملك أذينة  
والملكة الزباء معاً . ويدرك القراء أننا جلونا في تلك  
الحلقة - التي صدرت في الشهر الماضي - صفحة من تاريخنا  
العربي القديم ، كانت مطموسة ، لا يعرف الا القليل منها ،  
ما في ثناياها من حقائق ، تدل على نبل النفس العربية ،  
ومبلغ تعشق العربي للحرية وتقديسه لها ، واستعداده الطبيعي  
للثورة في سبيلها . وقد فتحت تلك الحقائق بعد ان بسطناها ،  
بسطًا تاريخيًّا عالميًّا ، آفاقًا بعيدة ، شعت فيها خيوط من نور ،  
كتبلينا على اثرها ، نفر من اهل الفكر القوميين العرب ،  
ينبئي اعجوبة بعملنا هذا المتواضع ، ويعلق عليه املاً في  
تعبة الاجيال الطالعة ، التعبة التي ترد على الوجود العربي  
كرامته ، وتنقل ماضيه الى حاضره فتجعل منها في المستقبل ،

امتداداً لهذا الوجود ، متطوراً في نطاق التطور البشري  
العام ، فكراً ، وعاماً ، وقوة . ونؤكّد منزلة هذا الوجود  
من الركب الانساني ، او الوجود الانساني ؛ هذه المنزلة التي  
صعب كثيراً ان يَشْعَلَها بِحَقٍّ ، سواه .

اننا نعتبر موقف هذا النفر المفكر الكريم منا ، موقف  
تشجيع ، وهو بهذه الصفة ، في نظرنا ، عامل من عوامل  
كثيرة ، نحن في اشد الحاجة اليها ، لكي تقوى على المضي  
في اداء الرسالة التي يُتَّسِّلُ منا كَبَّنا ، شعورنا العميق ، بما  
فيها من قداسة ، ومن خطورة .

وها نحن اولاً ، نضع اليوم بين ايدي القراء العرب  
اخلاقة الثانية من هذه السلسلة ، سلسلة «الاثرون في التاريخ»  
وهي دراسة اسيف بن ذي يزن وثورته على الاحباش .

وسيف هذا ، هو البطل العربي الشعبي الشهير ، الذي  
تتداول قصته ملايين الابدي العربية ، في مختلف احياء  
اوطن العربي ؛ تلك القصة التي ليس فيها من شخصية سيف  
ورحقيّة كيانه العقلي والنكري والوطني ، شيء ذوبان ، يمكن  
ان يُنْتَفَعُ به ، او يستحق ان يوضع بين ابدي الاجيال  
العربية الطالعة موضع التوجيه الصالح الرفيع . ذلك لما في

ـ فضة الملك سيف ـ تلك ، من السطحية ومن المبالغات ،  
من جهة ، ومن السذاجة والعبطل من جهة أخرى .  
وسيف في الواقع ، شخصية عربية قاريبية ، كبيرة جداً ،  
من الحيف أن لا تخلوها الأقلام العربية على حقيقتها الثابتة ؛  
ومن أخير كل الخير أن تُعرف في وضوح ، معرفة تستند  
إلى التحقيق العلمي ، وتقرر في اذهان المفكرين العرب ومن  
اليهم ، قيمة ذلك الرجل الذي اضاعت الاوهام السقية ، قيمته ؟  
والذي لعب في تاريخ الوجود العربي دوراً بطولياً رائعاً ،  
وجعل من قضية بلاده وتحريرها ، قضية دولية في ذلك  
الحين من الدهر . فحررها بقوة السيف ، وحطم تحت  
حوافر جواده ، وجاء بنى قومه الأصيلة ، سيف الاحباش .  
وقد جئنا بمحاولتنا هذه اليسيرة ، نجلو حقيقة هذا العربي  
الكبير الحر التأثر ، ونقرر في الادهان قيمته ووزانته ، في  
 نطاق الفكر والفروسيّة ، وحب الحرية والتقبيل ؟ او الموطن .  
ونحن على مثل اليقين بل على يقين تام ، بان عربياً  
واحداً غير منهم باصله وكرامة نفسه ، وضحكة تقليده ،  
وحلته بوطنه ، يستحيل ان لا يعني سيف وامثال سيف  
من الشّاّئرين المصاحين الخيرين ، في تاريخنا ؟

وان لا يدلنا على موضع الخطأ والضعف ، في حلقات هذه السلسلة ، سلسلة «الثأرون في التاريخ» وان لا يرشدنا - اذا هو كان مستطاعاً - الى جادة الصواب ، والحقيقة في مطاوي البحث والتقييب ، اذا هو اطلع على هذه السلسلة او اي حلقة من حلقاتها التي ستتالي شهراً بعد شهر ، حتى تنتهي بها الى الثأر الاخير . ونرجونا من الباحثين المتقين ان يكشفوا لنا عمن يعتقدون بان من حقهم ان يُنظّموا في هذه السلسلة ، فقد نخطيء التوفيق في العلم بهم كلهما ، وهم كثيرون ، في قاربنا الضخم الجيد . واننا لنتعرف علانة باننا لستنا في غنى عن مثل هذا الارشاد واننا نوحب به ، ونوسع في صدورنا له ، ونقيد منه ، ما قد نقيد به هذه الامة العربية الحالية رغم كل شيء ؟ والتي يسهل من اجلها ، في نظرنا ، كل عسير .

دار الحكمة

## اليمن في التاريخ

كانت الآثار الكثيرة التي كشفت عنها الحفريات في البلاد اليمنية ، سبيلاً إلى معرفتنا أشياء ذات قيمة ، من حلب تاريخنا العربي القديم ، وما يزال العلماء يتربّون العثور على كثيّر من الآثار في أراضي اليمن ، التي كانت « العربية السعيدة » في سالف الزمان ، اذا هم وفقوا إلى العثور عليها ، فليس من سُكُنٍ في إنها ستلقي أنواراً كثافة على حقب من التاريخ القديم مجهرة الماهية حتى اليوم ، تضيف إلى المعرفة البشرية ، ثروة ذات شأن .

فقد كان من شأن هذه الآثار ، التي اكتشفت ودرست في القرنين التاسع عشر والعشرين ، أن أهابت بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن اليمن ، هي أول بلد في العالم عرف المدينة ، ومنه انتقلت إلى بقية آسيا والى إفريقيا وشواطئ أوروبا .

كان اليمنيون أهل تجارة ، وكثروا أميل إليها منهم [إلى] الغزو والغارات<sup>(١)</sup> .

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام . الدكتور جواد علي .

فبنوا كذلك المراقيه ، على شواطئ البحر الاحمر وعلى  
شواطئ بحر العرب .

وبنوا كذلك الحصون العظيمة ابقاء للغارات التي تشنها  
عليهم القبائل المجاورة ؟ فقد كانت هناك - الى جانب المدنية  
المستقرة - قبائل بادية ذات بأس .

ولعل مدينتهم - على رأي بعض الباحثين - قد سبقت  
مدينة بابل وآشور ومصر . بل كانت عاملاً قوياً لقيام  
هذه المدنات على شواطئ النيل وفي بابل وآشور .

وفي التاريخ القديم نجد ان الدافع الذي دفع يوليوس  
قيصر الى غزو بلاد العرب هو المعلومات التي استقها ،  
والتي انتهت اليه ، أن بلاد العرب غنية ، وان اهلها يخزنون  
الفضة والذهب ، وان فيها صناعة عظيمة . وكانت اليمن  
في مقدمة البلدان العربية التي يشملها هذا الوصف : اراض  
خصبة ، و المياه وافرة ، ومعادن ، وصناعة .

وما ميل التجاريين الى التجارة ، سوى نتيجة حتمية لانتشار  
الصناعة في اليمن ، والحاجة الى تصريف منتوجاتها في مختلف البلدان .  
وقد وصل التجاريون بتجارتهم الى افريقيا واوروبا بلـ  
سواحل آسيا المجاورة والبعيدة <sup>(١)</sup> .

---

(١) محمد كرد علي . المتنبي . جم . ٧ س . ١٩٣٥ و ١٦٩ .

وكان من نتائج هذا الاتصال ، ان تعرف الافريقيون والآوروبيون والآسيويون ، الى اولى ثرات الحضارة :  
الاتاج الصناعي .

وبفضل هذه التجارة ، بدأت انظار الناس في العالم القديم تتجه الى بلاد العرب .

وبفضلها ايضاً ، بدأت انظار العرب تتجه الى البلاد البعيدة .

وكان من نتائج ذلك ، انشاء مستعمرات خارج البلاد العربية . ففي مصر بني عبد شمس ، ملك سبا ، مدينة « عين شمس » وولى عليها ابنه « بابليون » (١) .

ان بناء مدينة « عين شمس » في اقليم مصر ، يدفعنا الى التفكير باللحاظ في الامكانيات المعنوية التي ساعدت الملك « عبد شمس » على بناء هذه المدينة . من هذه الامكانيات ، وعلى رأسها ، في رأينا ، قبائل عربية كانت قد هاجرت الى مصر وسكنتها . وبفضل اللغة الواحدة ووسائل القربي استطاع « عبد شمس » ان يبني هذه المدينة . ومعنى ذلك ان الوجود العربي كان مشجعاً على البناء والاناء .

---

(٢) الدكتور جواد علي . تاريخ العرب قبل الاسلام .

وعبد شمس هو نفسه سباً بن يشجب بن يعرب بن قحطان  
ولقب بسباً ، لانه - في رأي - أول من أدخل السبي ، من  
ملوك العرب الى جزيرة العرب .  
على ان التوراة تشير الى ان السبائين ، وعاصتهم  
حرر واح ، هاجروا الى سواحل افريقيا ، واستوطنوها .  
والاحباش انفسهم يروون ان الاسرة الحبشية الحاكمة  
هي من سلالة ملوك سباً .

### مفهوم الخلود عند العرب في تلك العصور

كان لاكتشاف مثال الملك « ذوجدن » ومعه ادواته  
الحربية ، اثر عظيم في تفسير المفاهيم الفلسفية العربية في الجاهلية  
الأولى .

فالي جانب مثال « ذوجدن » وجدت نقوش عن لسان  
الملك نفسه ، مفادها : « اني اعددت ادوات الحرب هذه  
لدفع الموت عنى ، فخانتنى . »  
وفكرة دفع الموت عن الانسان ، فكرة قديمة في  
التاريخ ، قدم الانسان ذاته .  
ومن عبارة « ذوجدن » هذه ، تستطيع ان تستخلص

أن العرب القدماء رأوا في الخلود أنه غير ممكن التحقيق  
وان الموت لا يُدفع بالـ ولا بـ سلاح .

ولعل من هنا كانت استجابتهم قوية للديانات السماوية ،  
التي تقول بأن هناك خلوداً من نوع آخر ، على غير هذه  
الارض .

ولعل للحضارة العربية يومها ، ومبني ما كان يراه فيها  
العرب من مجال للتنعم ، اثراً في تطليقهم الخلود على هذه  
الارض ، يستمتعون في نتاج حضارتهم متعمدين ، باستمرار  
لا ينقطع إلى الأبد .

### اليهود أبداً ...

دخلت اليهودية إلى اليمن ، وفي نجران قوم من النصارى ،  
كانوا أهل فضل واستقامة ، ولم يرئ رئيس محترم ، هو  
عبدالله بن التامر(١) .

وكان الذين حملوا اليهودية إلى اليمن وبشروا بها ، عملوا  
على زرع البعض للنصارى في قلوب اليمنيين ، واستحوذوا  
على إبادة النصارى ، وزينوا لهم أن اليهودية تأمر بذلك .

(١) المقتبس ج . ٧ ص - ٨٦

— ولا تستبعد ان يكون ذلك واقعاً — اذ لا يجوز  
ليهودي ان يجاور نصارياناً يؤمن بعيسى بن مریم ، الذي  
ينكره اليهود ولا يؤمنون بأنه أنت .  
وهكذا تكون اليهودية في نشأتها الاولى ، علة نزاع وحقد  
لا تنطفئ جذوتها إلا بانطفاء اليهودية ، او بانطفاء الاديان  
الساواة الأخرى .

وليلاحظ هنا ان اليهودية لم تكن تهدف الى خلق النزاع  
بين اقوام مختلفي العرق واللغة حسب ، بل كانت — وهذا  
أخبر ما في رسالتها — تعمد الى بذر الفتن بين الشعب  
الواحد ، باثاره فريق على فريق ، وتحريض فئة على فئة ،  
لি�تفاني في قتال بعض البعض الآخر ، لعله يفني ..  
وفي الظلم والبغى الذين انزلها اليهود « باصحاب الاخدود »  
خير شاهد على جرائم اليهودية ، التي تؤمن بسفك الدماء  
غدرآ وفي الظلام ، ايامها بضرورة افقاء البشر في سبيل بقاء  
اليهود ، او وضع هؤلاء البشر — على الاقل — في حال ،  
لا يستطيعون معها ، الا ان يكونوا عاملين لمصلحة اليهود !

#### اصحاب الاخدود

قال تعالى في كتابه العزيز : « قتل اصحاب الاخدود »

النار ذات الوقود ، اذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نعموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيز الحميد . » واصحاب الأخدود هؤلاء ، هم النصارى العرب الذين كانوا ينجران وعلى رأسهم عبد الله التامر .

كانوا عرباً نصارى يعيشون الى جانب الوثنين العرب ، بأمان ؟ تربطهم وسائل قومية لا سبيل للأديان الى صرمتها . إلا ان اليهودية كانت شر ما بلي به الناس ، فهي حين دخلت اليمن ، بغضّت الاخ الى أخيه والابن الى أبيه وبذرت في القلوب بذور الفتن وبذور الحقد ، في حساب دقيق ! .

كان ذلك ، في عهد الملك « ذو نواس » عندما دخلت النصرانية الى نجران . ونجران اقليم يني قريب من الحجاز . وكان فيسرون صالح ، الرجالن الذين ادخلوا النصرانية الى نجران ، قد استحوذا على قلوب الناس ، بما للدين الجديد من روعة تتجلّى في اقوال السيد المسيح ، عيسى بن مریم ، وفي تعاليمه .

وراء هذا الأمر المبشرين اليهود ، فثارت ثائرتهم ونشط كيدهم ومكرهم ، فراحوا يقلبون الامور ظهراً لبطن ، حتى قر رأيهم على امر ...

وكان هذا الأمر ، إشعال نار الفتنة بين الملك « ذو نواس »  
والنصارى في نجران ؛ فارسلوا واحداً من دهائهم ، ذرب  
السان ، يجيد تعميق الحديث ، ويحسن وضع السم في  
الدسم . وما أكثر هؤلاء فيهم ...

وقدم الرسول على الملك « ذو نواس » ، وتقرب منه  
في ذلة ومسكنته ، وجعل يجده - كذباً - عن طغيان  
النصارى في نجران ؛ وأنهم يسعون سراً لهدم عرشه وزوال  
ملكه ، وأنه إن لم يبادر إلى استئصال الدين النصراني من  
قلوبهم ، فإن العاقبة ستكون وخيمة عليه ، وعلى  
عرشه وسلطانه . وتعلق الملوك الشديد بالعرش والسلطان ،  
 يجعلهم يصدرون كل وسادة ، وينقادون إلى كل واس  
كذاب ، ويرون الخطر حيث لا مكان لاي خطر  
فيفقدون السيطرة على اعصابهم ، ويندفعون في غير إمعان  
فكر ولا رؤية إلى ارتکاب أنواع الجور والطغيان .

واقتعد « ذو نواس » بكلام اليهودي ؛ وثار غضبه ،  
خوفاً على ملكه ، فسار في جيش إلى نجران وحاصرها .  
ثم دعا إليه وجوه القوم ، وطلب منهم أن يختاروا بين ترك  
الدين النصراني أو الموت . فقالوا له : « أنتا وجدنا في

ديننا حقاً ، واطمأنت اليه نفوسنا ، فـلا سـيل لـنا إلـى  
الارتداد عـنه . .

فأمر « ذو نواس » جنوده أن يخروا أخدوداً في الأرض ، وجاءوا بمحطم جعلوه فيه وأسلعوا النار ثم أخذوا يدفعون بالجماعة إليه ، دفعة بعد أخرى ، ومعهم الأطفال والنساء والشيوخ ، فكان المنظر من الفظاعة بحيث تشعر له الابدان وتنزلزل هوله العظام .

ولكن اليهود لم يروا في هذا كله امراً إدّا ، ولا شعروا بأن في فعلتهم شيئاً من الوحشية أو من الطغیات ؟ وفيما كان الموت يتلقف عشرين ألفاً من أبناءه لا ذنب لهم إلا الإيمان بما لا يؤمن به « ذو نواس » ، كانت خحكات اليهود تتعالى في شمانة لا تستقيم لغير الوحوش .

### النصارى يستجدون

وأفت واحد من أهل نجران من الموت ، وفر يستجد بذلك الروم . فشكوا إليه الظلم الوحشي الذي لحقهم ، والدمار الذي حل بساحتهم ، فقال له قيسر : « بَعْدُت بِلَادَكُمْ عَنْ بِلَادِنَا ، وَإِنِّي مُرْسَلٌ مَعَكُمْ كِتَابًا إِلَى مَلِكِ الْجِبَّةِ ، فَسِرْ إِلَيْهِ . »

وحمل الرسول الكتاب وجاء الجبعة فكان له من التجدة  
ما أراد، وعزم الاحباش على التأثير للنصارى ، وفعلوا .

### اليهود يزرعون والعرب يمحضون

نستطيع الآن أن نقرر أمراً واحداً وهو أن اليهود قد بلغوا غايتهم باثاره الفتنة بين الشعوب ، وتم لهم بذلك ما رموا إليه ، ووقع بين العرب والاحباش القتال ، الذي سيأتي خبره ، وانقدت فار الفتنة بين الفريقين ، مما ينطفي او اثارها حتى يكون اليهود قد فكرروا بفتنة أخرى ، وما أكثر ما اثاروا من فتن في قارب العالى : شرقه وغربه .  
ولم يكونوا هم - بالطبع - ليتحملوا شيئاً من وزر القتال ، فالعرب قادرؤن على ذلك ، وسيان عندهم أغلب العرب أم غالبياً . فالمهم ، عندهم ، أن تجري الدماء - دماء غيرهم طبعاً - لترتوى نفوسهم الجرمة . وهذا ما حدث .

### الاحباش يغزون جزيرة العرب

لـى النجاشي دعوة النصارى وصرختهم . وسيـر حملة على  
اليسن تأثر للنصارى الذين احرقـهم فتـة اليهـود .

و كانت في اليمن حصون ، لم يكن احد من الناس ليعلم  
بومها ، بسقوطها بين ايدي الاعداء . و اشهر هذه الحصون :  
سلمين و بيدنون و غمدان <sup>(١)</sup> .

ولكن جيوش الحبشة بوفرة عددها ، و شدة حقدها الذي  
كان يضاعف من قوتها ، استطاعت ان تهزم جيوش ذي نواس  
ملك اليمن ، و ان تحاصر الحصون و تستولي عليها . ولم يمض  
برهه من الوقت حتى دانت اليمن للاجاش . و استكان  
اليهود ، لا يأتون حراكا ، و بقي العرب وحدهم في الساحة ،  
ساحة المعركة التي تدور رحاها في الخفاء ، والتي تُعد النقوس  
- حكمها - لاضرام نار الثورة على الاجاش ؛ الثورة  
التي منها يكن من شأنها بالنتيجة ، فهي لن ينال اليهود ،  
من اذاها ، من شيء ، ويكون النجاشي قد انتقم للنصارى  
العرب ، من العرب غير النصارى ؛ واليهود ، اهل الشر  
والفتنة ، والذين ما يعنيهم الا انهم يهود فحسب ، قبل  
كل شيء وبعد كل شيء ، ولو تقاي니 الناس فعنوا ، «يتفرجون»  
معقبطين .

---

(١) المتنبي بـ ٧٤

## الحكم الاستبدادي

دخل أبرهة ... وكان يلقب بالأشرم - إلى اليمن منتصراً، فاخذوا هذا النصر الذي لم يكن بحلم فيه ، صوابه ، ومضى ينتقم من الإبراهيم ، انتقاماً وحشياً ، وافت جنده يعيشون في الأرض فساداً ، يقتلون وينهبون ويغрабون دون حساب . والأغلب على الظن أن الخراب في اليمن ، بدأ منذ ذلك العهد «<sup>١</sup>» .

ونزلت باليمن أعظم بلية يستطيع الاستعمار أن ينزلها في بلاد . فنامت نفوس اليمنيين على غيظ ، وبنوا يرثحون تحت وطأة النير الحبشي وما يجره من إفقار واذلال ، ولكن دون يأس ولا استخدا ...  
وكان من نتائج ذلك ، أن تعطلت التجارة اليمنية ، والصناعة أيضاً .

ومني الشعب بغير كثير . فهاجرت قبائل كثيرة إلى الشمال والجنوب والشرق ، ودوّت في الآفاق اسم أبرهة الأشرم ، يثير الرعب والاشمئزاز ، ويغرس في النفوس الخقد

(١) المقتبس . اليمن وسكانها .

وكان في هذا كل ما يهد لامور ، ستظهر بوادرها في الوقت الذي قدر لها ان تظهر فيه ، « والامور مرهونة باوقاتها » .

### دو يزن

بعد ان حقق ابرهه انتصاره على اليمن ، اخذ يشتت الأذواء . ويقتل من يخلو له قتلهم منهم ؛ ثم يضييف زوجاتهم الى زوجاته .

وكان من اخذهن الى « بلاطه » قسراً ، ريحانة زوجة ذي يزن ومعها ولدها سيف . بعد ان توارى زوجها عن الانظار ولم يعرف مقره .

ونشأ سيف بن ذي يزن بين اولاد ابرهه الذين اخذهم اخوه له ، وهو لا يدرى من امرهم ، وامر ابيه ذي يزن ، شيئاً . كان ينادي ابرهه : يا ابي . ويعتبر اولاد ابرهه اخوه له ، في الوقت الذي تبين فيما بعد ، ان اباه « ذو يزن » كان يجوب البلاد عرضاً وطولاً ، ويسأل الناس العون على تخلص اليمن من شر ابرهه وحكمه . حتى استقر به المقام في بلاد الفرس . فطلب الى ملكها ان يساعدته على طرد الاجياس ؛ فوعده بساطلا ، واستطاع ذو يزن انجاز

الوعد ، حتى ان المطل كان اطول من عمره . فقد وافته  
المئية في بلاد فارس ، فمات غما وحسرة ، منسياً من جميع  
الناس ، حتى من العرب الذين لعلهم لم يسمعوا باسمه بعد  
فاجنته ، قبل اليوم ...

وهكذا قضى الرجل الذي استنفره الظلم والاستعمار ، الى  
جوب بلاد الله ، عليه يجد نصيراً ، يدفع معه عن وطنه  
البغى والعبودية .

### تفكير ابرهة

بعد ان استتب الامر لابرهة ، راح يفكّر في كيف  
يُكَنَّ ان يعود الى النصرانية ، ما كان لها من مكانة وروعة  
في نفوس العرب اليمنيين . وقرر في اول الامر ، ان  
يحاول ذلك بالحسنى وبالدعوة الصالحة . فبني في صنعاء كنيسة ،  
لم يشهد التاريخ في الشرق ، الى ذلك الوقت ، اروع منها .  
فقد بالغ في زخرفتها من الداخل ، بشكل ما كان يمكن ان  
يخطر ببال الناس في ذلك الزمان ، وزينها بالصور ، وثيدين  
الرياش ، بغية ان يصرف الناس عن البيت العتيق في مكة ،  
وان يجعل انظارهم الى صنعاء .

ولكن العقائد الموروثة ، من الصعب القضاء عليها بمثل السهولة والاسلوب اللذين تصورهما ابرهة ، فقد زاد عمله هذا في ما كان من حب **الكعبة** في نفوس العرب ، فغضب لذلك غضباً شديداً جداً . واثار سخطه ، ان رأى اهل اليمن كلهم ، يستهويهم حب البيت العتيق في مكة ، ورآهم يتتكلفون السفر الشاق من أجل زيارته والتبرك به . فجمع اهل مشورته ليباحثهم في هذا الشأن . ويقرر معهم امراً .

### اصحاب الفيل

انتهى ابرهة الى رأي في غاية الخطورة ، هو ان يهدم الكعبة ، فتتحول بذلك انتظار العرب عن هذا البيت الذي يجمع قلوبهم على حب ، ويعقدها على التحاد . وجهز لذلك جيشاً كبير العدد ؛ واستخدم الفيلة تقدم الجيش ، وسار الى مكة .

و قال العرب من هذا قلق شديد ، وراحوا يتشاورون ، فاذا هم يغلب عليهم التساؤم والتردد .

ويقول بعضهم ، لعل هذه الاصنام تذود عن نفسها ...  
ويقول آخرون ، ليس من الحكمة ان ينال منها الخوف ، فان

رب البيت ، رب ابرهيم واسعمايل ، لن يتخلى عنا .  
وكان رجل من اهل اليمن يدعى ذاتنفر ، قد علم  
بالامر ، فثارت حميتها واستنفر قومه لقتال ابرهه ، ولكنه لم  
يصمد لذلك كثيراً ، فأخذ أسيراً ، وانتهت بانتهاء امره ،  
كل مقاومة ايجابية لجيش ابرهه .

كان ابرهه في طريقه الى مكة ، يلقى كثيراً من قبائل  
العرب قد خفت للدفاع عن البيت . ولكنه كان ينتصر  
عليها ، لأنها لم تكن منظمة الصفوف ، ولا موحدة القيادة .  
ولعلها لو كانت على شيء من التنظيم ، ووحدة اللواء ، لم  
يعجزها رد ابرهه وجشه . بل لعلها كانت قويت على تحطيم  
ذلك الجيش ، في غير كثير من العناء .

### ابرهه على اسوار مكة

حاصر ابرهه مكة ، ثم دعا اهلها الى مفاوضته . فارسلوا  
اليه سيداً من أسيادهم هو عبد المطلب .  
ودار بين الرجلين حديث طويل ، نستطيع ان نلخصه  
فيما يلي :

قال ابرهه : اعلموا اني ما جئت لحربكم ، ولكن للقضاء

على هذا البيت ، فان لم تنتعوه ، نجت لكم ارواحكم .  
 قال عبد المطلب في الم ، ان للبيت رباً سيمتعه .  
 قال ابرهة : ما كان ليمتع على " .  
 قال عبد المطلب : أنت وذاك وسنرى (١) .  
 أنقذ البيت . وذهب عبد المطلب ومعه جماعة الى الكعبة ،  
 فامسك بحلقة الباب وجعل يدقها ويستنصر الله على ابرهة  
 وجنته . ونصر الله عبد المطلب وجماعته !  
 وجعل ربك كيد ابرهة في تضليل .  
 فعاد عن الكعبة وقلبه يكاد يطير شعاعاً من خوف ،  
 « ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ؟ ألم يجعل  
 كيدهم في تضليل ؟ فارسل عليهم طيراً أبابيل ، ترميهم  
 بحجارة من سجيل . »

### ريحانة

بعد الخيبة التي مُني بها ابرهة الأثمرم ، عاد الى اليمن  
 مهين الجناح ، يستعيد بالله من شر ما رأى ، ومن ذل ما  
مُني به من هزيمة . وآخر ان يستكين بعض الوقت ،

(١) فصص القرآن .

ليذهب عن نفسه الروع .

وتناهى إليه أن الامير سيف ، الذي تربى في بلاطه وبين  
بنيه ، قد أختفى من كل مكان في البلاد .

وعيشاً حاول أبرهة العنور على سيف ، فارسل في طلب  
ريحانة وسألاها . فأجابته بصوت فيه عزم وفيه قوة : « لقد  
كبير سيف ، ورأيت أن الأمانة قد آتى لها أن تنتقل مني  
إليه . فأخبرته بقصة أبيه وببلاده .

وسيف كما تعلم عربي ابن عربي . لم يكن في حاجة  
إلى من يدفعه إلى تحرير بلاده ، فان له من نفسه دافعاً ،  
ومن شهامته ونحوته قوة ، ليس إلى كتبها من سبيل .  
وطار صواب أبرهة حين سمع منها هذا الجواب . ولكنه  
كان يحب الامير سيف . وكانت يتغشى مزاجاه ،  
ويتسنى لو أنه كان ولده صلباً لا بنوة . فعنف ريحانة لأنها  
باحث له بأشياء كان من واجبها - في رأيه - كثناها عنه .

### الامير سيف

فتي عربي أصيل ، أسمر الجبهة في عينيه نور إيمان وفي  
نفسه ترفع واباه .

وسيف ربب بيت عريق في بيوتات العرب . ابوه ذو يزن ،  
احد الأدواء الذين ملكوا بعض الوقت على اليمن ، وأمه  
ريحانة ، تلك المرأة الفاضلة التي ربته ليكون سيفاً في صدر  
الطفاة والمحظيين .

خرج الامير سيف من اليمن ، وفي نفسه تلقت مفهوم  
بأمل العودة الى صنعاء ، وامام عينيه ، في الافق البعيد ،  
حلم جميل رفيع ، يداعب نفسه الفتية الصلبة ، فيذكر في  
صدره نار العزم ، ويوسع له في القدرة على محاولة الشدائد  
والاخطر ، حين يطول الطريق ، وتكثر الاخطار والشدائد .

خرج الامير سيف وحيداً لا ناصر له إلا ايمانه بمحرية  
بلاده ، والانخوة عربية تهز اعطافه وتثبت قلبه .

ومضى يطلب ارض الروم ، وكانت الطريق طويلاً  
وساقها ، وخطرة . فكان لا بد له ، ليدفع عن نفسه كل  
خطر قد يعترض مسيره ، ايا كان هذا الخطر ، ومن اين ما  
جاء ، ان يعتمد على نفسه ، على شجاعته ورباطة جأشه .  
وليس على اي شيء غير شجاعته ورباطة جأشه . وقد  
استغرقت رحلته هذه من اليمن الى القسطنطينية ، اشهرآ  
غير قليلة ، تحملها غير قليل من الاحداث ومن المفاجئات

ولعلها اول رحلة من هذا النوع قام بها هذا الفارس العربي . وما أشبه رحلته هذه — عدا الغاية منها — برحالة أمرىء القيس ، من قبل .

على انه كات لأمرىء القيس ، صاحب يشاطره آلام الطريق ، ويحمل كل منها الآخر .

ولم يكن للامير سيف من رفيق غير سيفه وهمته . وان في هذا لما يدعو الى الاعجاب حقا ، بضرر هذا الفارس النبيل ، ومضاء غزانته ومبلغ ما وصل اليه من قوة الاعتداد على نفسه .

كان يعرف من غير شك ان الطريق امامه لا تنتهي الا في شهور . وان الجوع والعطش ، وربما الموت ايضا ، هذا كله ، يمكن له في جنبات هذه الطريق . ولكن لم يعبأ بهذا كله ، فقد كان يعلم انه يتطلب عظيم ومن طلب العظيم ، صبر على العظيم .

يقول الاستاذ محمد كرد علي<sup>(١)</sup> ان سيف مر ، في بلاد الشام ، بقبيل من العرب ، نزل عليهم ضيفاً وبالغوا في اكرامه ؛ وانبأهم نباء ، فاكبروا مزاجه وشجعوه ، معججين

---

(١) المصدر السابق .

على المضي في سبيله ..

ولم تقع على ما يشير من قریب او من بعيد ، الى  
هؤلاء الذين اضافوا الملك سيف واعجبوا به ، وشجعواه على  
المضي في سبيل مراده ، من هم ؟

افلا يمكن ان يتبدّل الى الذهن انهم قد يكونون من  
الفساسنة ، والفساسنة عرب اقحاح ، من أزد اليمن ، موطن  
سيف الذي يجوب الارض من اجل انقاذه ! اي موطنهم  
هم انفسهم ، قبل ان يغادروه الى الشام ، ان موقف الفساسنة  
القومي العربي ، يوم تدفق العرب على ديار الشام بعد  
الرسالة ، اي بعد رحلة سيف هذه باكثر من سبعين سنة  
وتخليهم عن الروم ، وهم مثلهم يدينون بالنصرانية ، لينحازوا  
إلى المسلمين العرب ، لأنهم عرب مثلهم ، ليس غير ؟ مغلبين  
الرابطة القومية على الرابطة الدينية ، هذا الموقف القومي  
ال رائع المشرف ، يحملنا على الجزم بأن ذلك القبيل الذي مرّ  
به سيف في ديار الشام ، هو من الفساسنة ، مواطني سيف  
العرب الاقحاح ، فشجعواه على الاحباش وهم مثلهم يدينون  
بالنصرانية ، لمجرد كون سيف عربياً مثلهم تربطهم به  
رابطة العروبة .

وليس غريباً ان يكون الفاسنة اخبروه خبر ايه ،  
« ذي يزن » الذي كان قد مر بهم قبله ، وهو ماضي  
العزيمة ، متذوق الحس العربي والشجاعة الاصيلة . فشحذ هذا  
الخبر من همة سيف ، واذكر في نفسه نار الانطلاق الى  
غرضه ، في مزيد من العزم ، والصبر على المكاره ، ففرق  
على فرسه ، مسرعاً ، وفي مرح ، شطر بلاد الروم ، حتى  
اذا انتهى الى حصن ، استضاف رجلاً عجوزاً فيها ،  
فالى عنده كرماً وانساً ، انسياه متابع الطريق .

ودار بين الامير سيف والرجل حديث طويل ، تبين له  
منه ، ان الرجل كان من الذين رافقوا اباه ذا يزن ، فقلب  
سيف التأثر ، وقفز الى عنق الرجل يستنشق عقب ايه .  
وعجب الرجل لفعلته ، فسأله في لففة : من يكون الضيف  
الكريم ! فقال سيف وهو يمسك الدموع في عينيه : انا  
يا عم سيف بن ذي يزن !

وكان مشهد يزن المشاعر هزا عميقاً . فقد دهش الرجل  
العجز لحظة ، ثم راح يبكي غارقاً في ذكريات بعيدة  
غالبة ، ثم انكب على سيف يقبله في رأسه وجبينه وصدره ،  
ويقول : انت سيف ! ثم عاد الى نفسه يغالبها لتسكن ،

فما ان سكنت نفسه ، فاطلبه سيف على نياته ، حتى اخذ سيف بين ذراعيه وانفجر بالبكاء من جديد ، فرحاً واعتزازاً . وراح يسأله ويغوص في السؤال ، وسيف يروي له ما تقاصيه اليمن من ويلات واهوال ؛ يتبدئ ما في نفسه من ثورة ومن الم ، في عنف صوته العادي ، وفي الدموع المتحجرة في عينيه .

والرجل العجوز يُصغي ، وكأنما هو يصغي بادئه وعينيه وعقله وقلبه معاً ، حتى اذا ما توقف سيف هنئه ، يحاول كبت المـهـ وثورته ، ففرz الرجل الى سيفه ودرعه يتناولها من وتد في الجدار ، ويعاـد سيفاً على النـالـ في ركبـهـ لتحرير اليمن ، ولكن الشـخـوخـةـ في عمره لم تقو على حـلـ الفتـوةـ والـحـاسـةـ تـأـجـجـانـ في أـعـاقـ نـفـسـهـ ، فـسـقطـ على رـكـبـيـهـ ، واطلق من صدر ، زفـرةـ حرـقـىـ ؛ وبـكـىـ هذهـ المـرـةـ بكـاءـ لـوـعـةـ وـحـسـرـةـ<sup>(١)</sup> .

(١) هذا الحديث بين سيف والرجل العجوز لم تتفق على حقيقته له في غير سيرة سيف الشعـبةـ ، وناخذه لـانـهـ يـنـقـىـ الـحدـ بعيدـ معـ منـطـقـ الحـوـادـثـ ، ليسـ غـيرـ . معـ الـعـلمـ أنـ هـذـهـ السـيـرـةـ ، مـفـرـقةـ فيـ بـعـدـ التـصـورـ وـسـعـةـ الـخيـالـ ، ولاـ يـصـحـ أنـ تـكـونـ مـرـجـماـ عـلـيـاـ ، وـانـ تـكـنـ لاـ تـخلـوـ مـنـ شـيـءـ مـنـ الـحـقـيقـةـ . فيـ الـاسـاسـ الـذـيـ قـامـتـ عـلـيـهـ .

## الامير سيف في بلاد الروم

دخل الامير سيف بلاد الروم ، في ربيع سنة ٥٦٣  
على الأرجح .

وقد اصابته حمى هناك ، أقعدته حيناً ، حتى كاد يشرف  
على الموت . ويدركنا هذا ، بعرض امريء القيس في بلاد  
الروم . على ان حظ سيف كان ان نجا ! ولم ينج  
امرء القيس .

ونحدثنا السيرة الشعبية « بأن اميرة رومية هناك ،  
احبته وعرضت عليه الزواج منها ، فاعتذر ، مدعياً بأن امامه  
اعمالاً جساماً ، عليه ان يقوم بها ، وفاء لوطنه » .

ونحن لا نستغرب مثل هذا الخبر ، لا نستغرب ان  
تكون فتاة من الروم في القسطنطينية علقت الامير سيف ؟  
 فهو من جهة ، امير . وهو من جهة اخرى ، امير عربي  
بهي الملامح . مهيب الطلة . كما لا نستغرب ان يكون  
سيف - رغم انه قد يكون تأثر بحب الفتاة - لم يُبد  
اي اهتمام او رغبة في الزواج ، لما كان يشغل فكره وقلبه  
من مشاغل تتركز في حبه لوطنه ونضاله لتحرير هذا الوطن .

انتظر سيف في القسطنطينية شهوراً ، حتى استطاع الاجتاء  
ملك الروم .

وكان يومئذ هرقل ، وقد خف عنه عبء الانتظار  
الطوويل هذا ، ما كان يعلل به نفسه من استجابة هرقل  
لاستنجاده به . على أن ملك الروم ، ما ان عرض عليه  
سيف امره ، حتى خذله ، محتاجاً بان الاختباش يدينوون  
بالنصرانية ، فليس الى نصرته عليهم من سبيل !

والصحيح انها حجة معقولة ، ما دام ليس هناك رابطة  
تربيط هرقل بسيف ؟ فلا سيف رومانياً ، ولا هرقل  
عربياً ، ليصح ان نطلب منه تغلب الرابطة القومية على  
رابطة الدين ؟ وما نستطيع ان لا نرى في سيف شيئاً من  
السذاجة حين يستجد بذلك الروم في مثل هذه الحال ..  
فالمسألة هنا تختلف اختلافاً كلياً عنها مع الفاسدة الذين  
وان دانوا بالنصرانية ، ديانة الرومان ، فانهم عرب ، تربطهم  
بالمسلمين<sup>(١)</sup> من العرب ، رابطةعروبة ؟ وليس من رابطة  
اقوى من الرابطة القومية تنتظم كل ما في حياة امة واحدة  
من طرق تفكير ، ومن صالح وحالات ..

(١) قاتل الغساسنة في سنة ٦٣٥ م. اي سنة فتح العرب ادبار الشام مع  
المسلمين العرب ضد الرومان الميغين .

وكان ألم الحية يعمل في نفس سيف ما لم ت عمله مشاق  
الرحلة ، وانقطاع الطريق ؛ كاد يفت في عضده ويطفيء  
جدوة النفال ، في صدره ، من أجل بلاده ؛ لو لا ان  
سيف كان يحب اليمن حباً خالصاً . ويؤمن بحق وطنه  
وحربيته ايماناً صادقاً . لا يشوب حبه شائبة نفاق . ولا  
يختلط ايمانه بغيره . كفر يفرضه مال . او خوف . او اي  
غرض خاص ، شأن مرتفقة التخايا الوطنية . من ضعاف  
النفوس ومفتربي الاخلاق . وهذا كله ارتقى سيف فوق  
الم الحية ، وغادر القسطنطينية يضرب في السهول والفيافي  
وفي الاودية والجبال ، والذي في نفسه ، في نفسه ، من  
عزם واقدام ، واندفاع ، وتصميم على الثأر : على طرد  
الاحباش .

### الامير سيف في الطيرة

ما نستبعد ان يكون الامير الفتى ، في عودته من  
بلاد الروم ، الى بلاد العرب ، ومروره في الشام ، حيث  
الفساسنة ، يغض الوجه كريهة احسابهم ، ثم الانوف من  
الطراز الاول ، هؤلاء الذين ترجع عندهنا انهم هم الذين

اضافوه وبالغوا في اكرامه ، واعجبوا به وشجعواه ، يوم  
مر بالشام الى القسطنطينية ، ما نستبعد ، نقول ، ان  
يكون الامير الفى خطر في باله ان يستبعد بهم - وهم عرب  
اقحاح منه ، ومن مواطنه اليمنيين في الاصل - لولا ان  
يكون فطن الى ان الشام تعيش تحت لواء الروم ، وان  
العساينة ، وان كانوا من عربه ومواطنه في الاصل ،  
وبتكلون في الشام ، فان للرومارات عليهم سلطانا ، وهو  
بعد دامي القلب ثائر النفس ، من خذلان هرقل امبراطور  
الرومان له . وعلى هذا ، فلا بد ان يكون سيف جانب  
منازل العساينة ، واختار له ، الى الحيرة في العراق ،  
بجازاً ، بعزل عن هذه المنازل .

وكان سيف قد بدأ يتجه بفكره نحو النعمان بن المنذر ،  
ملك الحيرة ، وماجاورها من العراق العربي ، في امبراطورية  
الفرس ؛ فقصد اليه ، واستقبله النعمان ، في بشامة وترحاب  
واضفى عليه من العطف ، يمازجه كثير من التكريم ،  
ما بعث في نفسه ، وهو الفتى ، كثيراً من الغبطة والطباينة  
والامل ، وكاد ينسبه اخفاقه ، هناك ، في بلاد الروم .  
وروى سيف للنعمان اخبار اليمن ، واطلبه على عدوان

الاحباش واحتلتهم بلاده ، وافتراض في وصف الطغيان  
الجشعي ، وما يتعمده من استعباد ، ومن تحرير وتدمير ،  
واذلال ، الامر الذي تضيق به النفوس الحرة وتأباء ،  
والذي يجدر بالعرب ، قبل غيرهم ، ان يثوروا عليه ،  
ويتخلصوا منه ، وهم اهل العزة والنخوة والاباء . ثم قص  
سيف على النعمان قصة رحلته الى القسطنطينية ، وما كان  
من رد هرقل له مخدولا ، وما ترك هذا الخذلان من اثر  
في نفسه ، بما جعله يندم على هذه الرحلة ، ويحاول ، من  
اجل انتقاد بلاده وتحريرها ، ان يتمس له عند الملك ،  
رأيا ونصرة ، فهو ملك عربي ؟ من حق هؤلاء العرب  
الذين اغتصب الاجنبي بلادهم ، وراح يسومهم الذل والخسف  
ان يتطلعوا في مختبرهم اليه ، ويعلقوا عليه امامهم في الخلاص .  
ونحن في الواقع ، ما نستطيع الا ان نرى في حديث سيف  
هذا ، كثيرا من المنطق ، وكثيرا من الحق ، ولكن هذا  
نفسه يشير في صورنا رغبة في التساؤل عما حدا بسيف في  
صدد تحرير اليمن ، ان يفكر ، اول ما فكر بالروماني  
يستعد لهم على الاحباش ، ويستجد بهم ، لا خراجهم من  
بلاده ، فيقطع آلاف الاميال ، معرضاً بنفسه لشتى

المتابع والخطر ، ليصل الى عاصمة الروم ؛ والخيرة ،  
- نسبياً - ، على رمية سهم منه .

ان في الجواب عن هذا التساؤل ما قد يكشف شيئاً  
من حقيقة الوضع الاجتماعية القائمة يومذاك في بلاد العرب  
او شيئاً من حقيقة النفسية العربية ، جملة ، تنتظم العرب ،  
في عهد ، تسودهم فيه روح المجتمع القبلي ، بين امبراطوريتين  
من اعظم الامبراطوريات التي عرفها التاريخ الينا :  
الامبراطورية الفارسية والامبراطورية الرومانية .

ولكن الجواب عن هذا التساؤل ما هو ؟ وما السبيل  
الى ان يحيي جواباً يُقره المنطق ، ويصيّب من الصواب  
في عقلية اليوم ، قدرأ ما كان صواباً في ذلك العهد ؟!

لماذا لم يستنصر سيف جماعة الفرس ؟ وهم اقرب الى  
اليمن ، من الرومان اليها ، وللروم شيء من السيادة على  
عرب الشام ، مثل ما للفرس شيء من السيادة على عرب العراق ؟  
ونعني بهذا ان الرومان من ناحية العلاقة ببعض بلدان العرب ،  
لا يختلفون عن الفرس في علاقتهم ببعض آخر من هذه البلدان !  
هل كان عرب اليمن يحملون في نفوسهم للفرس ، شيئاً  
من سوء الظن بهم ومن الكره لهم اكثر مما يحملون

لروم ، وبعد الروم عن اليمن ، وقرب الفرس منها ،  
ولمعرفتهم من شؤون العراق العربي وشئون الفرس فيه  
— اذا هم كان لهم شيء من المعرفة في هذا الشأن — اكثروا  
ما يعرفون من شؤون الشام ، وشئون الرومان في الشام !  
فاحسن سيف الظن بالروم ، وهم ، عدا ان بلادهم نائية من  
اليمن ، يدينون بالنصرانية ، الدين الذي يدين به الاجياش  
اعداؤه الذين يستنصر الرومان عليهم ! ام ان العرب قاطبة  
في ذلك الحين ، ومنهم عرب اليمن ، رغم وثنيتهم ، كان  
في نفوسهم حس " او حَدُّس " ان النصارى ، — وفي العرب  
قلة ضئيلة كانت قد اعتنقت النصرانية ، — اجدر بايلاء الثقة  
واسرع الى النجدة ، والنصرة بالحق ، لما في دينهم من سمو  
وأنانية ، من الجحود الفرس ، عباد النار ؟!

ام ان عرب اليمن كانوا يعتقدون — صوابا او خطأ —  
ان الرومان اجل سلفا من الفرس ، واعظم قوة ، واعمق  
هيبة ؟! ويقتضي هذا ان تكون بحدتهم — اذا هم بحدوهم —  
ابعد تأثيرا ، من نجدة الفرس ، واوفر نصبا من الامل  
في التغلب على الاجياش ، وآخر اجههم من اليمن ؟ واليمن  
ليست موضع مطامع استعمارية بالنسبة الى الروم ، وقد

تكون كذلك بالنسبة إلى الفرس ١

ان الجواب عن هذه السؤالات ليس بالأمر السهل ،  
 فالمصادر التي بين أيدينا ، ضحلة ، تكاد توصف بالتضليل  
 في هذه الناحية ، وقصيرة مدى الإشعاع ، حتى لتعجز  
 عن ان تثير بعض السبيل للباحث المثبت ، او تعجز هذا  
 الباحث ! فما يستطيع ان يكتشف باشعاعها الضليل الشاحب  
 ما يجب ، ويعتقد ان من حق قرائه عليه ، ان يكشف لهم  
 عنه . وبالرغم من هذا كله ، فتحن مدعون في الحال ،  
 الى ان نجح في هذه السؤالات ، وسننجيب عنها في قصد ،  
 غير متتجاوزين حد الترجيح ؛ الترجيح ، دون الجزم .

قلنا فيما مرّ من خبر سيف ، ان في قصده الى  
 القسطنطينية يستتجد بالروم على الاحباش ، شيئاً من السذاجة  
 او ما ندرى فقد يكون في هذا شيء من التجني على سيف .  
 على ان قولنا هذا ، اما تستند فيه الى ان الروم لا تربطهم  
 بعرب اليمن اية رابطة ، وترتبطهم بالاحباش رابطة الدين ،  
 هذه الرابطة التي اذا كان العرب لم يكونوا يحسنون عمقها  
 في ذلك الحين ، ولا يقدرون وزنها قدره الصحيح ، فعلى  
 العكس من ذلك ، كان الرومان ؟ والرابطة هذه اي رابطة

الدين كانت حديقة النشأة ، بين الرومان وبين العرب  
النصارى في اليمن ، وكان الرومان ، تتقد الرغبة في فتوسهم  
بان تقوى هذه الرابطة وترسخ ، وما زحف الاحباش  
النصارى على اليمن الا ظاهرة من ظواهر هذه الرغبة ، في  
تقويتها وترسيخها ، هذه الرغبة التي يحسن ان نعقل ، ما  
كان يثيرها ويبررها في ذلك العهد ، من ايمان بدين سماوي ،  
رفع خير ، بازاء وثنية باردة قاسية متباعدة ، والاحباش  
هم الذين يعتمدهم الرومان لنشر النصرانية في اليمن ، ومتى  
العلاقة بين اليمن وبينهم ، بواسطة الدين . فليس من المعقول  
ولا من المترقب ، ان ينصر الامبراطور الروماني ، الامير  
سيف بن ذي يزن ، على الاحباش ، وهم نصارى مؤمنون  
مثله بالنصرانية ؛ واليهانيون – عدا اهل نجران – ووثنيون  
غارقون في الوثنية ، ويهود متعصبون ليهوديتهم ، معنون  
في الكفر بالنصرانية ، والعداء لها ، وتأليب الوثنين عليها .  
وقبل هذا كله ، فان روما هي التي شجعت الاحباش على  
غزو اليمن واحتلالها ، بمحجة التأثر لنصارى نجران الذين افناهم  
او كاد « ذو نواس » اليهودي ، صاحب « الاخدود » !  
فما الذي حمل « سيف » اذن ، على ركوب الصعب

إلى القسطنطينية ، يستنصر الامبراطور الروماني على الأحبائين  
دون كسرى ؟ وكسرى وثنى يكره النصرانية ، وفارس  
دائنة من اليمن ، بالنسبة إلى بلاد الروم ؟!  
إننا نرجح ، بعد هذا الذي بسطناه كله ، أنه يجب أن  
يكون هناك عاملان لتفصير هذا الأمر .

أغلب الظن إن العرب اليانين ، كانوا يعرفون من  
سياسة الفرس الذين يسيطرُون سعادتهم إلى حد ، على العراق  
العربي ، أكثر مما يعرفون من سياسة الرومان المهيمنين ،  
على الشام ؛ بالنظر إلى قرب العراق منهم ، بالنسبة إلى  
الشام . وكانت في ما يعرفونه من هذه السياسة ، شيء  
يتصل بغضرة الفرس وتطوّلهم على العرب ، واستخفافهم بهم  
وازدرائهم لحياتهم البدائية ، وما يضرونه لهم من نظرة  
المتابع إلى التابع ، وما إلى ذلك من أمور . وكانوا  
لا يعرفون شيئاً ، تقريباً ، عن سياسة الروم في الشام ، يتسم  
بهذه السنوات ؟ هذا أولاً . وثانياً إن العرب في اليمن ،  
خاصة ، وفي غيرها من الاحياء العربية عامة ، كانوا بدأوا  
يحسّون حسّاً غامضاً ، ولكنه حس عميق ، بروادة هذه  
الوثنية وقوتها وتقاهتها ، ويأنسون بالنصرانية ، ديناً

سماوياً رفيعاً سنيحاً ؛ لا بد ان يكون اهله من انصار الحق والكرامة وحرية الانسان . ولا بد ان يكون ابرهة الطاغية لا يمثل هذا الدين تمايلاً صحيحاً ، والروماني السادة واصحاب السلطان في النصرانية في ذلك اطين ، لا يرثون عن اعمال ابرهة وتصرفاته ، وان يكن ابرهة يدين بالنصرانية مثلهم ؛ فالنصرانية تكره العداوة والطغيان ! .

وقد نستطيع ان نضيف الى هذا ، انه من الممكن ان العرب كانوا يعتقدون او يظنون - على الاقل - كما ظن سيف ، ان الرومان اعظم قوة من الفرس ، واجلّ شأننا واعمق هيبة ، فاذا هم المجدوه ، فان مجدهم قد تهز الاحباس خوفاً ، وتفت في عزتهم ، وتنقى معنويات العرب ، وتشد من عزائمهم ، اكثر بما تفعل مجدة الاعجم ! هذا ما نرجح انه كان - مجتمعاً - الدافع الى الاستنجاد بالروم دون الفرس ، ولكن هرقل امبراطور الروم ، كذب هذه الظنون ، وهذا الحسان . فانقلب سيف آسفاً ، حسراً ، غافباً ؛ وفي نفسه عدا الاسف ، والحسرة ، والغضب ، فكرة ما نستبعد ، ان تكون تركت اثراً بعيداً في نفوس عرب اليمن ، وهم في اواخر عهدهم الوئي ؟

وبعد انتصار سيف على الاحباش ، في العام الذي ولد فيه صاحب الرسالة ، وقبل مبعثه بما يقرب من اربعين سنة ليس أكثر ...

ولم ير سيف من بد ، بعد ما مني به من خيبة امل وفشل مسعى ، من ان يقصد الى النعيم ملك الحيرة ، في امبراطورية الفرس ، ففعل ، وقص على ملك الحيرة قصته ، او بالحري مأساته ، وها هو يكرر على مسامع الملك العربي قوله : « ان هؤلاء العرب الذين اغتصب الاجنبي بلادهم ، وراح يسومهم الحسق والذل ، من حقهم ان يتطلعوا في مختتهم ، اليه ، ويعلقوا عليه آمالهم في الخلاص »

واصغرى الملك الجليل الحنك ، الى الامير الفتى ، في اهقام وسكنية ووفار ، وكان كلما افاض سيف في وصف النكبة ، نكبة اليمن بالاحباش ، ونكبته بخذلان امبراطور الروم له ، يرتفع في نفس الملك منزلة ، ويزداد نصيبيه منه حبّة وعطافاً . حتى اذا ما انتهى من كلامه ، طلب منه ان يهدّي من فورة نفسه ، ويخلد الى شيء من السكون والراحة ، بعد عناء رحلته الطويلة المضرة ، وان يدع الامر بين يديه الى غد ، يفكّر فيه ، ويلتمس له الوسيلة الى

صلاح العُتبَى وشرف المصير .

وراح الملك النعمان يفكر في سيف وفي اليمن ، وأغلب  
الظن انه امعن في هذا التفكير ؟ وفي استعراض ما قصه  
عليه الامير الفارس ، من شؤون رحلته وشُؤُون موطنه ،  
فتجسمت له نفس سيف ، النفس العربية الرفيعة ، الشديدة  
المراس ، القوية الشكيمة ، الحرة التزعة ؟ واحسّ في  
نفسه صوتاً عميقاً ، مدوّياً في نفسه ، يدعوه الى نجدة بني  
قومه في اليمن ، فقرر ان ينجدهم . ونعتقد انه فكر ،  
وهو الراوح العقل ، البعيد النظر ، الواسع الجلة ، في ان  
من الخير ، ان تكون النجدة بواسطة الاعجام « الفرس » ،  
الذين يدين لهم بالولاء ، فلا ينكرون عليه هذه النجدة ،  
من جهة ؟ ويكون قد جعل منهم حليناً لليمن على الاحباش  
من جهة اخرى ؟ وفي هذا من سد الأزر للیانين ، ورفع  
المعنويات في نفوسهم ما فيه ، بما يضمن الى حد بعيد ،  
تغلب سيف بمواطنه ، على الاحباش المحتلين .

وانه في الواقع لتفكير يدل على الرغبة الصادقة عند  
النعمان ، في نصرة اليانين ، تربطه بهم رابطة العروبة ، نصرة  
عملية ، من جهة ، وعلى بعد نظره وشدة حنكته ، وسعة

حيلته ، من جهة اخرى ؟ فاستدعى اليه الامير سيف ،  
وافضي اليه بأنه قور ان يتجده ، وانه سيُشرك الفرس في  
تجده له ، وانه سيأخذه في صحبته الى كسرى لهذا الغرض.  
فاغتبط سيف واطمأن .

واخذ النعمان يستوضح الامير الفقي ، عن وضع اليمن ،  
ومبلغ ما تستطيعه من حشد القوى للثورة على الايجاش ،  
وعما اذا كان من الممكن ان تكون القوة الرئيسية ، قوة  
عربيه خالصة تستطيع ان تقبض على زمام الحركة ، فلا  
تكون نجدة الفرس لهم ، اكثروا من «نجدة» ، نجدة ، ليس غير .  
والمرجح عندنا ان الامير سيف ، بسط للملك الحنك حقيقة  
الواقع ، فاطلبه على ان الذين يحملون السلاح في اليمن ليسوا  
بالعدد الكثير ، لما خسرته اليمن من رجال في القتال ،  
ولكثرة الذين اضطربتهم ظروف العيش الى المهاجرة ؛ ورغم  
ذلك ، فإنه يعتقد انه يستطيع اعداد قوة ذات شأن ، للثورة ،  
يكون الزمام في يدها في ساحات القتال ، وانه يعتبر ان  
التجدة ، على ما سيكون لها من اثر مادي فعال في القتال ،  
شأنها الاول والاخير في نظره ، يتجلی في تاحية اخرى ؛ انها  
سترفع من معنويات الثوار العرب ، وتلقى شيئاً من الهيبة لهم ، في

نفوس الاحيائش ، فيتغاذلون ، وهو يستطيع التأكيد انه  
سينتصر عليهم ، ويخرجهم من بلاده ، منهزمين خاسرين .  
واعجب النعمان ما بدا له من ثقة سيف بنفسه وبقوته ،  
واستصوب تعليمه لماهية النجدة ، واستحسنها ، واطلعته على  
تقليد يعمل به في زياراته لكرسي ، وهو انه يفرد عليه  
في احيان معينة ، فيحمل اليه بعض المدايا . وطلب منه  
ان يكث في ضيافته الى ان يحين موعد زيارته لكرسي ،  
فيوافقه في هذه الزيارة ، ولم يكن موعدها بعيداً ، فان  
ذلك ادعى الى تلبية الاعجام طلبه النجدة . واغبسط سيف  
بهذا التدبير ، وقررت به عينه ، وحِدَّ للملك الجليل الحكيم  
عطفه عليه ، وعنایته به .

ومرت الايام ، ولكنها كانت في نظره بطيئة المرور ،  
حتى كأنما اليوم الواحد كان يستطيل ويتضخم ، فيغدو في  
نظره شهراً ، وكان في خلال ذلك ، كأنما هو يأكل ناراً ،  
لما كان يتصوره من الوان العذاب والطغيان ، تنزل في بني  
قومه في اليمن ، فينطلق الى النعمان في لوعة وانتفاضة ،  
يخبره بالذى يتواجهى له ، ويبثه ما في نفسه من ألم ،  
فيهدّي النعمان من روعه ، ويطمئنه في رفق وعطف ،

ويفهمه ان الامور لا بد ان تجري في موعدها الزمني ،  
فيسكن الامير الفتى ، ويطمئن الى رأي الملك ، ويعزم على  
ان ينتظر في صبر ، موعد الزيارة ..

وكان في ذلك العهد ، نوع من انواع الرياضة لدى  
العرب ، هو المفضل عندهم ، وهو المقياس الأول لفروسية  
فرسانهم ؛ هو النزال في ساحة القتال ؛ فينزل فريق من  
الفرسان مقابل فريق آخر ، ويتنازلون ، كأنما هم يتقاولون فعلاً ؛  
وقد نستطيع ان نشبه هذا النوع من الرياضة ، بما يسمونه  
اليوم «مناورة» عند الجيوش الحدية ، وكثيراً ما كان  
فرسان النغان ، يلجأون الى هذه الرياضة ، وسيف يشهد  
النزال ويعجب بالفرسان ، فيشير ذلك في صدره ذكريات  
ترى في حرقته من جهة ، وتبعث في نفسه شيئاً من التسلية  
من جهة اخرى ؛ واستاذن النغان يوماً في مشاركة فرسانه  
هذا النوع من انواع الرياضة : هذه المناورة ، فاجابه  
إلى ما يريد وشجعه عليه ، فأخذت الامير الفتى نسوة  
الفروسية ، وراح يشاطر فرسان النغان رياضتهم «الحربية»  
في مواعيدها المعينة ، فيبني من البراعة ما جعله قبلة انتشار  
الفرسان جميعهم وموضع اعجابهم . وازداد ما كان قد

نشأ في نفس النعسان من حب له ، وعطف عليه ، وتقدير  
 لزياته ، واطمأن قلبه وعقده ، إلى أن ما يسعى في تدبيره  
 من نجدة ، لهذا الامير الفارس الاصيل ، إنما هو خليق به ،  
 موف على الغاية منه ، في مغامرته لتحرير قومه وباده .  
 وانشرح لذلك صدر الملك ، وطابت به نفسه . وكان الامير  
 سيف في هذه الفترة ، يفيد من هذه « المناورات » ، كما  
 كان يفيد من مجالسته للملك النعسان . وكان شعوره بحملة  
 قدر الملك وبالغ حكمته ، وعميق اخلاصه للعرب قومه ،  
 سواء في اليمن وفي العراق ، يقوى يوماً بعد يوم ويعمق .  
 ورأى نفسه متوجذاً إلى الاقتباس منه ، والاقتداء به ،  
 فاكسبه ذلك غير قليل من النفع ، وافتراض على شبابه ،  
 من مظاهر الرصانة والوقار .

### الوفادة على كسرى

درج الملك النعسان بن المنذر ، ملك الحيرة في امبراطورية  
 الاعجم « الفرس » ، على زيارة « كسرى » مرة في العام ؟  
 وجاء موعد الزيارة في هذا العام (١) ، – وكان سيف

---

(١) نرجح ان هذا العام ، هو عام ٥٦٨ او ٥٦٩ م. على الاكثر

يُنتظِرُهُ ، كَانَ هُوَ عَلَى نَارٍ - فَرَكِبَ النَّعْمَانَ فِي مَوْكِبِ  
جَلِيلٍ ، يَرَافِقُهُ سَيفٌ ، يَقُومُ بِهَذِهِ الْزِيَارَةِ ، وَقَدْ حَلَّ مَعَهُ  
إِلَى كَسْرَى مِنَ الْمَدَائِي النَّادِرَةِ الْبَدِيعَةِ ، الرَّفِيعَةِ الثَّمَنِ ،  
أَكْثَرُ مَا اعْتَادَ أَنْ يَحْمِلَهُ مِنْ قَبْلِهِ ؛ حَتَّى إِنْ كَسْرَى دَهْشٌ ،  
وَلَكِنْ فِي غَبْطَةِ وَانْشِراحِ ظَاهِرِينَ ؛ وَبَالْغُ فِي أَكْرَامِ  
النَّعْمَانِ وَالتَّرْحِيبِ بِهِ ، وَالتَّوْسِيعِ فِي الصَّدْرِ لَهُ . وَكَانَ  
النَّعْمَانُ رَجُلًا عَاقِلًا حَكِيمًا ، يَزِنُ الْأَمْوَالَ بِيَمِيزَانَ الْعَاقِلِ  
الْحَكِيمِ ، وَيَقْطَعُ بِهَا بِيَصِيرَةِ الْخَيْرِ الْمُطْمَئِنِ ، فَكَانَ  
فِي خَلَالِ الرَّحْلَةِ إِلَى كَسْرَى ، يَحْدُثُ سَيفَ حَدِيثَ كَسْرَى ،  
وَيَكْشِفُ لَهُ عَنْ طَبَاعِهِ وَأَخْلَاقِهِ وَمَزَاجِهِ ، وَيَرِمُ لَهُ السَّبِيلَ  
إِلَى قَلْبِهِ ، وَالْحَظْوَةِ لَدِيهِ . وَبَعْدَ أَنْ قَدَّمَ النَّعْمَانَ إِلَى كَسْرَى  
ضَيْفَهُ الْكَرِيمِ ، سَيفَ بْنَ ذِي يَزِنَ ، وَاطْمَانَ بِالْوَفْدِ الْمَقَامِ ،  
خَلَا كَسْرَى بِالنَّعْمَانِ وَسَيفَ ، وَبَدَا حَدِيثُ الْاسْتِجَادِ ،  
بِفَارَسٍ ؛ وَكَانَ فِي مَا قَالَهُ الْأَمْيَرُ سَيفُ لِكَسْرَى ، وَهُوَ  
يَطْلُبُ نِجَادَتَهُ ، أَنَّ الْيَمِنَ يَسْعَدُهَا - بَعْدَ أَنْ تَطَرَّدَ الْأَحْبَابَ -  
أَنْ يَخْتَارَ لَهَا إِمْپَراطُورَ فَارَسَ ، مَنْ يَشَاءُ ، لِيَسْتَوِي مَلْكًا  
عَلَيْهَا . وَلَكِنَّ الشَّيْءَ الَّذِي لَمْ يَقْلِهِ سَيفٌ وَاحْتَفَظَ بِهِ فِي  
نَفْسِهِ ، مَنْعَرِفُهُ مِنْ تَتَالَى الْحَوَادِثِ ، ثَرَّ بِنَا فِي مَا بَعْدِهِ .

لم يكن سيف ليطمع في ان يرسل كسرى جيوشه ، او  
قساً كبيراً منها ، او صغيراً الى اليمن ؟ ولعله لم يكن يرغب في ذلك  
مخافة ان تطغى هذه الجيوش على اليمن ، بعد طرد الاحباش  
ويأخذها دوار الفرور ، فتنسب الى نفسها وحدها تحقيق  
النصر على الاحباش ، ويدور في خلدها ان من حقها ان  
تحل محل الاحباش في احتلال اليمن ، وتكون النتيجة ان  
اليمن استبدلت باستعمار الاحباش ، استعمار الفرس !

كلا ، لم يكن هذا ما يرمي اليه الامير الشاب الثائر ،  
وهو حين تحدث الى كسرى ، ووصف له طغيان الاحباش  
تعيّد ان يجسم نعمةاليانيين من الاحباش ، عدواهم على  
اليمن ، وطغيانهم ؟ وغضباليانيين وسخطهم عليهم ؟ لأنهم ، اي  
اليانيين ، يأبون العبودية والذلة ، وحرص سيف ان يدرك  
كسرى هذا كله ، وان نجدة قليلة من لدنه ، تكفي  
لضاغطة عزيمةاليانيين فيتغلبون على المحتلين ؟ ثم هم يحفظون  
لكسرى ، هذه اليد البيضاء ، قد يكون من ورائها شيء  
يسير من العنااء ، ولكنها تكون باعثاً لليمن على وضع  
مقاييس ملوكها ، بين يدي الرجل الذي يختاره كسرى لهذا  
الملك .

على ان كسرى فرأ في وجه سيف ما وراء هذه الكلمات من غرض ! ففكر لحظة وقال له :  
« بعُدْتَ بِلَادِكَ عَنْ بِلَادِنَا ، وَهِيَ قَلِيلَةُ الْخَيْرِ . إِنَّا  
هِيَ شَاءَ وَبَعْدُ . وَلَا حَاجَةَ لَنَا بِذَلِكِ .. »  
ليست اليمن ، في نظر كسرى ، بلاداً تستحق النجدة لأنها فقيرة ، على رأيه ، ليس فيها ما يثير الاطماع ...  
ووُقِعَ في يد الامير سيف . وخشي ان يذهب استنجاده بـ كسرى ، هباءً .

وقام كسرى اليه فكساه كسوة ملوكيه وأجزاء  
مال كثير .

وـ كبر على الامير العربي ان يستبدل بامر حفيض ، امراً  
عظياً . فقام الى الناس ينشر الدنانير فوق رؤوسهم ، وتحت مواطنهم ،  
اقداهم ، ويقول : جبال بلادي ذهب وفضة ، وإنما أتيتك  
مستجداً لتحرير موطنني ، لا طالب مال ..

### كسرى يفكوا ويستشير

كان حركة الامير سيف وكلماته ، فعل المنبه القوي ،  
ان لم تقل فعل السحر ، في نفس كسرى ؟ وهو ان

يكن قد رأى فيها كثراً من الترفع والكبر ، مما قد يكون بعث في صدره شيئاً من الغيظ او الاستياء ، الا انه شعر بانها حركة وكلمات صادقة ، تدل على ان قائلها رجل كريم وكبير ، يحسن ان لا يُضيع مثله ، وأنه خلائق به ان يتدارس الامر ، لعله يرى له مخرجاً يُرضي هذا الرجل ، وينتفع هو به .

وجمع كسرى كبار حاشيته ومستشاريه ، والقى اليهم بخبر الامير العربي ، وما يطلبه من عون .

فأشار أحدهم على كسرى ان يطلق سراح السجناء ويرسلهم الى اليمن . فان ماتوا فقد قضى الملك وطره منهم ، وان سلموا وطردوا الاحباش ، جاء ملك اليمن الى كسرى بغير ثن .

وأعجب كسرى بهذا الرأي ، وطلب الامير سيف وابلغه عزمه على إنجاده .

ولأول مرة ، بعد رحلة استغرقت آلاف الاموال ، وعشرات الشهور ، أحس الامير الفتى بشعور ، مزيج من الفبطة والاطمئنان ، وعقد على تحريض بلاده آمالاً لا تستوي إلا لامثاله من الشجعان الاباة ، ذوي القدام .

وفتحت ابواب السجون .  
فخرج منها ثلاثة سجين لا غير !  
وحسبك ان تعلم ان هذا العدد قد تأکله موقعة واحدة  
مع الاحباش ، لتشك في رضا سيف به !  
ان الامير لم يكن جاداً حين عرض على كسرى ان  
يكون ملك اليمن ، بين يديه مقابلته ، ولكنها حذكة  
دفعته الى ذلك ، يُغري كسرى ، لعله يسرع في نجده بشيء  
من الاندفاع .

ولم تكن النجدة التي ينشدها سيف هنا وهناك ، مرتكز  
النضال عنده ، في تحرير بلاده ؟ فالمترکز الاصليل هو  
العرب ، ولكنه كان يرى في النجدة ، ثانٍ من خارج بلاده ،  
عاملاً قوياً في النصر ، لما يُعلّق على مثل هذه النجدة عادة  
من آمال عند الثوار ، وتبعه في نفوسهم من قوى معنوية  
تضاعف في نفوسهم من القدرة على الصبر ، وسدة الاحتلال .

### القائد وهو ز

عقد كسرى اللواء لقائد له يدعى وهرز على الفرقـة  
المؤلفة من ٨٠٠ مقاتل من السجناء .

وكان وهرز هذا ، طاعنا في السن ، ولكنه شجاع .  
وكان ضخما ، طويل شعر الحاجبين ، له هيبة . وعليه  
مسحة من وقار .

أمر وهرز جنوده بركوب البحر ، وكانت ذلك سنة  
٥٦٩ ميلادية .

وعباً جنوده كلهم في ثانٍ سفن ، في كل سفينة مائة  
رجل .

وأراد «وهرز» أن يختبر الامير الشاب ، هذا الذي يشمخ  
أنفه بكبرياء الانفة ، وتتوهج المروءة في عينيه السوداون ،  
تتوهج الشعلة ؟ فسأله ما عندك أيا الامير في هذا الامر الجلل ؟  
فاجاب سيف ، وعلى قسمات وجهه كله ، انطلاق حلم مكبوت:  
« ما شئت من رجل عربي وسيف عربي ! »

ثم أضاف ، ليُشعِّـع سؤال «وهرز» جواباً : « ثم أجعل  
رجلي مع رجلك حتى نوت جميعاً أو نظر . »

فانفرجت اسaris وهرز عن أمل ؛ ولعله كان يائساً  
من انتصار حملته الضئيلة ، فجدد عزم الامير الشاب عزم  
وقواه ، ولعث امام عينيه بارقة نصر ، او بارقة اهل بنصر .

كانت نفس الامير سيف تتمثل هول المارك وشدةها ،  
وهو بين حديدها ونجعها ، فيتحقق قلبه ببطولة ليس يدر كها  
وهن ، ولا يدانيها خوف . كان يعرف ان قبر الاحباش  
ليس بالأمر البسيط ، ولا بد له من ان يخوض اليه اثماراً  
من دماء ، حتى يتحقق له النصر ، او يوت دونه .

وكان البحر في الشتاء ، صاخباً جياشاً يُلقي الرعب في  
النفوس . كأنما هو نفس تعني ، او إله بعض احتجاج التجارب  
في دروب الامير الشاب ليختبره ويزن رجولته .

وغرقت سفينتان بن فيها . اي غرق مائتا رجل من  
الشاماية ، عدة التجدة كلها ! فنزل في نفس الامير شيء  
من الغيط ، واقسم ليثارن من الاحباش ، ولو غرقت سفنه  
كلها ، بن فيها كلهم .

والتفت الامير سيف الى القائد وهرز ليقرأ على وجهه  
ما تركته هذه النكبة فيه ، فالقاه كعده اول الامر ،  
مطمئنا ثابت الجنان ، فاستبشر خيراً ، وانطلق مع امله  
يصوغ ، ما شاء له خياله ، من صور النصر الاخضر ، في  
اطر حمر ، لون الارجوان .

## على شواطئ حضرموت

ان هذه الحلة الصغيرة ، التي أصبح قوامها الآن سبعة  
رجل لم يكن لها بذاتها ، في نظر الامير سيف ، تلك  
القيمة الكبيرة في مقاتلة الاخباش الذين سيهربون الى قتاله  
بالالوف . فكان عليه ان يتصل بقومه ، قبل ان يعرّض  
هذه النجدة ، لفلة الاخباش مجتمعين ، فان في هذا <sup>يُمْكِن</sup> ما قد يهددها  
بالفناء ! فارتى اأن ينزل مع النجدة على شواطئ حضرموت ؟  
فيتصل بقومه ويبعث فيهم صرخة الجهاد ، ويرجم ما جاءهم  
به من نجدة ، وبعد العدة لقتال الاخباش المحتلين .

واقربت السفن من الشاطيء العربي لتتدفق من جوفها  
عصبة من الرجال ، وضعوا مصائرهم بين يدي الامير  
العربي ، الناثر .

## احراق السفن

لعل من واجب الذين يعرفون قضية احراق السفن التي  
اقلبت الجيش العربي من شواطئ افريقيا العربية الشمالية  
إلى الشاطيء الاوروبي في اسبانيا ، والتي امر باحرارها بعد

ان وطئت اقدام الجيش الفاتح ، ارض اسبانية ، قائد الجيش  
البطل العربي الشهير ، طارق بن زياد ، في خبر طويل ، روى  
كتب التاريخ ، من عربية وغير عربية ؛ لعل من واجب  
هؤلاء ، نقول ، ان يماركوا سيف بن ذي يزن ، وان  
ينحوه قسطاً كيراً جداً من الاعجاب الذي يتمنى به في  
نفوسهم ، القائد البطل طارق بن زياد ؟ فان هذه السنة  
الرائعة ، كان الامير سيف التاجر العربي الذي خصصت به  
« دار الحكمة » هذه الحلقة بكمالها ، من سلسلة كتب  
« التأثرون في التاريخ » ، تعنى باصدارها ، كشفاً عن  
ناحية من نواحي التراث العربي الضخم ، وبعثاً لهذه الروح  
العربية الاصيلة التي تستطيع - اذا هي بعثت على حقيقتها -  
ان تخلق من جديد ناساً في العرب ، يستطيعون ان ينقذوا  
هذه الامة من خلالتها ، وان يوجهوها وجهاً الحق والحرية  
والقوة الحُمْرَة ، ووجهة الوحدة في حياة عزيزة خصبة كوكبة  
نيرة ؛ ان هذه السنة الرائعة ، نقول ، كان الامير سيف  
اول من ستها . فما ان غادر رجال الحملة ، السفن التي  
اقتلتهم الى شواطيء حضرموت ، ووطئت اقدامهم الارض  
العربية ، حتى التمع في ذهن سيف ، الامير العبروي

البطل ، خاطر احراق هذه السفن ، فلا تكون في ذهن احد من رجال النجدة ، وسيلة الى الفرار ، اذا ما ادفهم الخطب وتفوق الاخباش في القتال . وافق سيف برؤيه هذا ، الى صاحبه وهرز ، زعيم النجدة ، فعمل هذا ، من دون اي تردد برؤى سيف ، وأحرقت السفن . ولعله فعل ، تدليلا على شجاعته ، وتصميمه هو الآخر ، تصميما قاطعاً على القتال الى جانب الامير العربي ، حتى النصر ، او الموت .  
فازداد ايمان سيف بشجاعة وهرز واحلاصه ، واطمأنت نفسه الى انه منتصر لا محالة .

وبدا زحف النجدة يقودها سيف ، وطارت البشائر ، تسقى الزحف ، يزفها العرب بعضهم الى البعض الآخر : جاء الامير سيف ! جاء ومعه نجدة غريبة ، عظيمة ، يقاتل الاخباش ويطردهم من بلاده ، بلادنا ، جميعاً ؛  
نحن اهل اليمن واسيادها الاصلاء .  
لعينيك يا ابن ذي زين . الى الثار ايتها العرب . ولستنا نستغرب ان يكون هذا بالفعل هو الذي وقع ، فان نفسية العربي التي يغلب عليها المزاج الحماسي الحاد ، والارتجالية التي ينفرها في صدره خميد الفعال ، والعزة المجرورة تضطرب في

صيمها الرغبة في النار ، هذا كله اذا انت اعفته في وعي ، يستفز العربي ، ويبيث في نفسه حب الانطلاق الى كسب الحامد ، ويؤجج في صدره نار الشجاعة الخامدة <sup>(١)</sup> ، والاقدام على العظام في سبيل الذود عن الذمار <sup>(٢)</sup> .

وبديهي ان مثل هذه الصرخات يطلقها رجال القبائل ، فتتجاوب بها سهول اليمن وجبلها ، لا بد ان تثير النفوس وتهز الارضية وتؤجج نار الشجاعة ، والاقدام على العظام ، فتهب قبائل العرب ، تتسابق الى الانضواء تحت راية الجهاد يرفعها عالياً ابن ذي يزن ، سيف ، الامير الصلب الشجاع . وكان سيف ، الامير الشاب ، والوطني المتحمس الشجاع قرر في نفسه احد امرئ لا ثالث لها . ولا مناص قطعاً من تحقيق احدهما . وهم : اما ان يظهر اليمن من الاجانب فتظل بلاداً عربية ، يحكمها اهلها العرب وحدهم ، يتصرفون بشؤونها ويتحكمون في مصائرها ؛ احراراً اعزة كراماً ، واما ان يُغْنِي الاحباش <sup>\*</sup> اهل اليمن ، وتصبح اليمن بلاداً جبشية ، يستوطنها الاحباش ويحكمها الاحباش .

(١) النار الخامدة هي النار التي سكنت فيها ولم يطفأ جرعاً .

(٢) الذمار : كل ما يترب علىك ان تحمي وتدفع عنه وتصونه : الحرم ، الاهل ، الحوزة ، اي ارض الوطن .

ففي تلك الايام لم يكن العرب يستسيغون غير هذا  
الطراز من العيش ، في مثل هذه الحال . هذا المكان ، او  
هذا البلد ، اما ان يكون لك ، واما ان يكون لي .  
لا مجال للتفكير في حل وسط ، كما يقولون اليوم ،  
او حلول ترضي الفريقين ، العرب والاحباش معاً ؛ على لغة  
جامعة السياسيين في العصر الحاضر ، وفي مقدمتهم معظم حكام  
العرب اليوم وزعمائهم . وكان شعار المجاهدين بالسيف ،  
واضحاً صارماً : « لا مكان لجبان تحت راية الجهاد » ، او  
لمرتفق ، او منافق » .

### ثورة شعبية

كانت عشيرة السلاسل ، وهي بطن من كندة ، القبيلة  
العربية اليمنية العظيمة ، اول من استجاب لداعي الجهاد  
الوطني ، فاندفع شبابها ، وبجالة وفرساناً ، يتلفون حول  
زعيم الثورة مُقسّين انهم يموتون ولا يرجعون بالخذلات  
والذلة . والسلالك هؤلاء يناظرون عن غيرهم ، من احياء  
العرب التي تكاد تتساوى في الشجاعة ، بالعناد في القتال .  
وأخذت بقية القبائل ، قبيلة بعد قبيلة ، العزة بالحق

والنخوة للوطن ، فأخذوا يلتحقون بالثوار ، جماعات وافراداً ؛ حتى لنسطيطع التأكيد انه ليس في ما عرفنا من ثورات ، ثورة ، يصح ان يقال فيها بحق ، انها ثورة شعبية كاملة ، مثل ثورة اليانين على الاحباش .

### موت ابرهه

توفي ابرهه الاشرم ، بعد وقت قصير من غارته على البيت العتيق ، ورجوعه عنه مدحوراً . فنودي بابنه « يكوم » خليفة له ؟ وهذا الاخير ما لبث ان توفي هو الآخر ، فقام من بعده على ملك اليمن ، اخوه « مسروق » ولما وصلت انباء الامير سيف ، يزحف على رأس فرق الثوار المجاهدين لمقاطعة الاحباش ، حزم مسروق امره على تعبئة الجند ، فاجتمع اليه مئة الف مقاتل(١) ، وساق امام المقاتلين عدداً كبيراً من الفيلة ، كانت تُستخدم في الحروب كـ تُستخدم الدبابات اليوم ، ومشى لمقاتلة سيف في موكب عظيم .

---

(١) قد يكون في هذا العدد شيء من المبالغة ، ولكن على كل حال يمكن ان يستدل به ، على ان عدد الذين ساقهم « مسروق » الى قتال الثوار كان ضخماً ...

ونحن نقف هنا قليلاً لنقرر ، ان مثل هذا الجيش لا يمكن ان يرى « مسروق » الحبشي اية حاجة الى سوقة لو لم يكن من الثابت لديه ، ان عدد الثوار العرب ، وان يكن غير ضخم بالنظر لما يعرفه من كثرة الذين قتلوا مناليانين في ساحات القتال ، والذين هجروا اليمن ، لأسباب معيشية — فهو عدد غير قليل ؛ فالنجدية الفارسية وهي لا تتجاوز السنتين مقاتل ، ليست من الناحية العددية شيئاً مذكوراً ، وما تحتاج الى مثل هذا العناء .

على ان التاريخ - فيما وقع لنا منه - لا يشير من قريب او بعيد ، الى عدد الثوارين العرب الذين لبوا صرخة الثورة ، وقادهم سيف الى التحرير ؛ ويصعب علينا كثيراً ان نحدد هذا العدد ، الا ان نقدر تقديراً ، وبقياس العدد الضخم الذي جنده « مسروق » ، فيرجح ان يكون عندئذ ، ما بين العشرين والثلاثين الف مقاتل ، وهو تقدير كما قلنا ، وليس تحديداً .

وواضح من هذا ان النجدية العجمية « الفارسية » لن تكون ذات اثر حسي كبير في تقرير النصر . فستمائة مقاتل بُضافون الى الوف المقاتلين ، وهم ان تساوا معهم شجاعة .

فليسوا اشجع منهم ، وينقصهم الایان والرغبة في التأثر والتحرر ، المتوفران للثوار العرب ، يقاتلون من أجل حبي عربي وشعب عربي ، ليسوا - كما قدمنا - شيئاً مذكوراً، ولكن فكرة النجدة من الناحيتين المعنوية والسياسية ، هي الامر الخطير الذي ينبغي ان يشير اليه التاريخ في كثير من التقدير لسيف ، وفكرة العقري .

ان سيرة سيف الشعبية تحدثنا عن معارك طاحنة كثيرة وقعت بين العرب والاحباش ، لعبت فيها البطولة العربية دوراً رائعاً .

ولكنه لا يصح ، في رأينا ، الرجوع الى السيرة كمصدر تاريخي ثقة ، كما قلنا سابقاً .

انه من المؤكد ان العرب ، وعلى راسهم الامير سيف في اليمن ، قد جاهدوا لتحرير اليمن من سلطة الاحباش ، جهاداً رائعاً جداً ، يحق للامة العربية ، ان تفخر به على الزمان(١) . وهذا امر نستطيع التثبت منه ، بالاستناد الى

(١) ما اكثـر ما في التاريخ العربي ، قبل الاسلام ، وبعدـه ، خاصـة ، من مواضع الفخر ، ولكن الذي يليـق بالعرب الان ، ان يصنـعوا من جـديد ، تاريخاً يحق للعرب ان يفخـروا به ... وان لا يذـكرـوا مفاخرـ الماضي ، الا للاعتـار ، ولو مـثلـ ذلكـ المـفاـخرـ ، فـماـخـرـ ، تـصـحـ كـذـلـكـ ، عـندـ الـاجـيـالـ الـآـيـةـ ..

مصادر لا ينقصها الطابع العلمي ، فلنسا في حاجة الى الاعتماد على سيرة سيف الشعيبة ، التي ينقصها هذا الطابع ، وان نحن عرضنا للسيرة الشعيبة هذه ، في النادر ، في سياق التاريخ لثورة اليمن - يقودها الامير سيف - على الاحباش ، فاما فعل لما قد يكون من الطراقة في سرد السيرة ، ولا يتنافي مع منطق الحوادث ، ومع ما هو من المقبول ان يقع ، وان لم يكن قد وقع حقاً وفعلاً ، كما ترويه السيرة تماماً .

لقد كانت فظائع الاحباش ، قبل ثورة سيف ، وفي خلامها ، « نوذجاً » في التقطيع ، قد يكون المقصوبون المستعمرون في عصرنا هذا ، في المغرب العربي ، مثلاً ، وفي غيره من ارجاء الدنيا ، وبعد اكثير من ثلاثة عشر قرناً ، متاثرين به لا شعورياً ، وسيحول بهؤلاء حتا ما حل بالاحباش من قبل ، وما حل بغير الاحباش ، بعد ذلك ، من انكليز وهولانديين وفرنسيين وابطالين ، وغيرهم ، في مختلف بقاع الارض .. وقد قال - اشارة ، الى هذه الفظائع - احد الشعراء العرب :

هونك ليس يرد الدمع ما فاتا لا تهلكي اسفا في ذكر من ماتا

ابعد « يبنون » لا عين ولا اثرٌ وبعده سلاحين يبني الناس « آياتاً »<sup>(١)</sup>

## المعركة الاولى

من المؤسف حقاً اتنا لم نوقن الى الواقع - في كل ما تيسّر لنا من مصادر - على ما يشير لنا السبيل لتحديد زمن المعركة الاولى ومكانتها بين الامير سيف والاحباش ، تحديداً نرضي عنه ، وتطمئن نفستنا الى انه تحديد صائب ، او قريب من الصواب . وكل ما نستطيع ان نقوله ونجزم به هو ان النصر النهائي على الاحباش كان في سنة ٥٧٠ م. ففي هذه السنة بالذات ، وقد يكون في اواخرها ، كانت اليمن قد حطمت النير الحبشي ، وتحررت الى الابد ، من سلطان الاحباش الذين عاثوا فيها فساداً وتخريباً طوال سبع وأربعين سنة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المقتبس ج ٧ ص ٣٥ في مقال بعنوان « اليمن وسكانها » ويبيّن وسلعهم وغمدان قصور ضخمة دمرها الاحباش ، كما دمروا غيرها كثيراً من آيات القرآن ...

(٢) دخل الاحباش اليمن بعد المذبحة التي دبرها « ذو نواس » لنصارى نجران سنة ٥٢٣ م وحكاية ذلك ان « ذو نواس » ملك اليمن في ذلك العهد ، وكان قد اعتنق اليهودية ، كان يضيق صدرآ بالتهراهنة السماه فعمل على افباء النصارى بطريقة جد ظفيعة سنة ٥٢٣ م ، وقد زحف الاحباش بأمر امبراطور بيزنطية على اليمن للانتقام لنصارى ، فقتلوا اهلها جميعاً واستعمروهم .

لقد تقرر لدينا - كما مر بك - ان الامير سيف ومعه  
النجدية الفارسية ، نزلوا على الشاطئ الحضرمي من البحر  
العربي ، ومن هناك اطلق سيف ، صرخة الثورة ، ودعا  
مواطنه الى الجهد ضد الاحباش المحتلين ، فلباه العرب ،  
وفي مقدمتهم قبيلة السلاسل المشهورة بالشجاعة ، والعناد في  
القتال . وما ان ترددت اصوات زمرة الثورة في مخاليف  
اليمن ، حتى هب « مسروق » يعيي الجندي ويستعد  
لملاقاة سيف .

وقد زحف فعلاً بقوة كبيرة ، الى ملاقاته في الطريق ،  
وهو على مثل اليقين بالانتصار عليه ، والبطش به وبين معه  
من ثوار ، ومن نجدة ، ذلك لكي لا يدع لهم فرصة للاقتراب  
من العاصمة ، وما يليها من مدن قريبة وانخرى غير بعيدة .  
ويغلب على الظن ان القوتين ، قوة الحق الثائرة من  
اجل الحرية ، وقوة الباطل الناقمة من اجل استمرار  
الاستعباد ، كان اول لقاء بينهما في اراضي انصاب او  
وادي اهوار ، حيث توه الاحباش انهم يستطيعون القضاء  
على العرب في ذلك الوادي !  
وما ان تقابل الجماعان ، حتى القض سيف بقواته على

الاحباش انقضاضاً صاعقاً ، ضضع هؤلاء لحظة ثم ما لبتو  
ان استعادوا رباطة جأشهم ، وصعدوا للثوار صعوداً محموداً .  
ولكن الامير سيف ، اثار نخوتة وغضبه هذا الصمود ،  
فصاح بوجاله من الثوار يستفزهم ، وشدَّ على الاحباش ومن  
وراءه جموع العرب البواسل يقطعنون خراطيم الفيلة التي  
ولت الادبار منهزمة ، فتضعضع الجيش الحبسبي ، وعمل فيه  
العرب تقليلاً ، وتنكيلاً ، فعمد الى الانهزام .

وتالت المعارك بعد ذلك فكان سيف يتنقل من نصر  
إلى نصر ، وما ان يجني النصر في معركة - وكان يجنيه في كل  
معركة - حتى يزداد عدد الثوار ، وهكذا لم يمض وقت  
طويل ، حتى استطاع الثوار العرب ، ان يدفعوا بالاحباش  
إلى الشواطئ اليمنية على البحر الاحمر ، بعد ان افروا  
منهم عدداً كبيراً ، وبعد ان فر منهم الى الحبشة عدد غير قليل .  
ويجدر بنا ، هنا ، ان نسأل : لماذا لم يستقدم «مسروق»  
نجدات من الحبشة ؟ ام انه استقدم هذه النجدات ، ولكنها  
لم تغير من سير المعارك شيئاً .

ان هذا السؤال قد يرد على خاطر القاريء ، وعليها  
نحو ، ان نقى ضوءاً ، على ما اهمل التاريخ ، في هذه

الناخبة .

كانت اليمن بعد سيطرة الاحباش عليها تخضع للجبيحة  
بشخص المالك عليها : ابرهه الأشمر ، وابنيه من بعده ،  
يكون مسروق .

وكان الاتصال بين الجبيحة واليمن اتصالاً وثيقاً : اي  
اتصال مستعمر يستعمر . وكانت خيرات اليمن تنقل الى  
الجبيحة . وان هذا يقتضينا الاعتقاد بأن نجدات كثيرة طلبتها  
« مسروق » من الجبيحة وارسلت الى اليمن للقضاء على نورة  
الأمير سيف . ولكنها كانت تتضاءل وتتكشم ثم تنهار ،  
امام القوة العربية الثائرة ، تدفع عن ارضها وعن عرضها ،  
وليس للاحباش في اليمن ما يدفعون عنه سوى نفوسهم ،  
فيحاولون النجاة بهذه النفوس .

وحينا حصرهم سيف على ساطيِّ البحر الاحمر ، كان  
يكون ذلك عند تعز او الحديدة او زيدية او  
بيت الفقيه ، اخذ من نجا منهم من القتل يفر الى الجبيحة ،  
وقد فر منهم كل من استطاع الى الفرار سيلماً ، قد تم  
اجلاوهم عن اليمن بكمالها سنة ٥٧٠ ميلادية (١)

(١) دائرة المعارف الاسلامية . *Encyclopædia of Islam*.

## الملك سيف

تحررت اليمن من النير الجبشي . فعمت الفرحة جزيرة العرب كلها ، من اقصاها الى اقصاها . وبدأت وفود المهنئين تقد على اليمن لتهنئة الملك سيف الذي ارتضته اليمن المتحررة ملكا عليها ، جزاء بلائه الجيد في تحرير الوطن ، وتقديرآ لعبريته واحلاصه ، وذاعت شهرة الملك سيف في بلاد العرب ، وغير بلاد العرب ، وتساقلت الركبان احاديث فروسيته وشجاعته وتضحياته في سبيل وطنه ، وراح القاصدون يصوغون منها حكايات عاشت مع التاريخ وبلغ فيها حتى غدت كاساطير .

وهكذا كانت حياة الملك سيف المشرفة إرهاصات تعيل في حركة سريعة وقوية ، لخلق الوف (الأسياف) «١» من بعد .

## زواج الملك سيف

بعد أن تم جلاء الاختيارات عن ارض العرب ، ونعمت اليمن بالحرية والعزّة ، وشيء من الاستقرار ، أعلن الملك سيف نباء زواجه من شيماء ..

(١) غير سيف الاسلام في اليمن اليوم طبعا .

شما .. ان التاريخ لا يحده عن هذه الفتاة ذات الخطورة  
بأي حديث .. أكانت شما أميرة من انسباء سيف ؟ أم  
كانت احدى بنات القبائل الثائرة ؟ اسدت الى الثورة  
يداً فاسترعت انتباه سيف ، ومرقت الى قلبه في احدى  
معارك التحرير ، ففضلها على فتيات اليمن واصطفاها له قرينة ؟!  
لا ندري . والتاريخ ايضاً لا يدرى على التحقيق . ويبدو  
لنا ان سيف كان قد نذر على نفسه الا يتزوج قبل ان  
يجلو الاجنبي عن وطنه . وقليل في الناس مثل هذا .

ونقول دائرة المعارف الاسلامية *Encyclopædia of Islam*  
حول زواج سيف « ان الأحباش جربوا كثيراً المؤول  
دون زواج سيف من شما » .

ويظهر من هذا بوضوح ، ان الامير سيف كان قد احب  
هذه الفتاة ، قبل اعلان الثورة . وقبل خروجه الى  
الروم والفرس . ويبدو ان شما بادله الحب وعاهدته  
على الاخلاص له ، حتى اذا جلا الأحباش عن اليمن ،  
تزوجها .

ويذهب بنا الفتن الى ان الفتاة شما هذه ، كانت تحمل  
بين جنبيها روحًا وطنية عالية ، وانها كانت على مستوى

عال من الذكاء ومن الجمال ، ومن المغزلة .  
فإن التدخل الجبشي بأمر هذا الزواج ومحاولة منعه ، يدعونا  
إلى الاعتقاد أن شتا ، كانت ابنة أحد أمراء القبائل القوية ؟  
فأعتقد الأحباش أن الزواج بين سيف وشنا ، يؤدي إلى  
استقواء سيف بما تتحمه هذه المصاهرة من التعاون الوثيق  
بين أتباع الأمير سيف وبين قبيلة والد شنا ، الامر الذي  
يختلف معه الحاكم الفاصل او الظالم ، ويتحقق ، فهو اي هذا الحاكم ،  
لا يحكم الا في ظل التفرقة والتجزئة والخلاف ..  
وقد تم هذا الزواج رغم ارادة المستعمر ، وبعد ان جلاه  
سيف بالقوة ، وربما بمشاركة شنا ، عن ارض وطنه الحبيب .

### وفد قريش

إن ابرز صورة للفرح العامة بطرد الاجنبي من بلاد  
العرب ، تتجلّى في الوفود التي جاءت تحبّي في الملك سيف ، بطولة  
البطهاء وعزّة القومية .

وأبرز هذه الوفود ، وفد قريش الذي جاء من مكة ،  
يقدم تهانيه إلى الرجل العربي الكبير .  
وكان ابرز الرجال الذين تألف الوفد منهم : عبدالمطلب

بن هاشم ، جد النبي ، وامية بن عبد شمس ، واسد بن عبد العزى ، وعبد الله بن جدعان<sup>(١)</sup> . وكان الملك سيف يستقبل الوفود في قصر له يسمى غمدان .

واللَّكَ ما وردَ يَهُدا الشَّأنَ فِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ :

وَفَطَلَبُوا الْأَذْنَ عَلَيْهِ فَأَذْنَ لَهُمْ . فَدَخَلُوا فَوْجَدُوهُ مُنْصِمَحًا بِالْعَنْبَرِ ، يَلْصَقُ وَيَبْصُرُ الْمَسْكَ فِي مَفْرَقِ رَأْسِهِ ، وَعَلَيْهِ بُرْدَانٌ أَخْضَرَانٌ ، قَدْ اتَّرَ بِأَحَدِهَا وَارْتَدَى بِالْآخَرِ . وَسِيفَهُ بَيْنِ يَدَيْهِ ، وَالْمُلُوكَ عَنْ يَمِينِهِ وَشَمَائِلِهِ ، وَابْنَاءِ الْمُلُوكِ .

فَدَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ فَاسْتَأْذَنَهُ فِي الْكَلَامِ . فَقَالَ لَهُ : قَلْ . فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ، إِلَيْهِ الْمَلْكُ ، أَحْلَكَ مُحَلَّ رَفِيعاً ، صَعِباً مُثِيْعاً ، بَادْخَلَ سَاحِحاً . وَابْنَكَ مُنْبِتاً طَابَتْ أَرْوَمَتَهُ ، وَعَزَّتْ جَرْوَمَتَهُ ، وَنَبِيلَ أَصْلَهُ ، وَبَعْدَ فَرِعَهُ ؛ فِي أَكْرَمِ مَعْدَنِ ، وَأَطِيبِ مَوْطَنِ ، فَإِنَتْ ، أَبَيْتَ الْمَعْنَ ، رَأْسِ الْعَرَبِ ، وَرَبِيعَهَا الَّذِي بِهِ تَخْصُبُ ، وَمَلَكَهَا الَّذِي بِهِ تَنْقَادُ . إِلَى إِنَّهُ قَالَ : « نَحْنُ ، إِلَيْهِ الْمَلْكُ ، أَهْلُ حَرَمِ اللَّهِ وَذَمَتَهُ ، وَسَدَّتَهُ بَيْتَهُ ، أَشْخَصَنَا إِلَيْكَ ، الَّذِي أَنْهَجَكَ لِكَشْفِ الْكَرْبِ الَّذِي فَدَحْنَاهُ . فَتَحَنَّ وَفَدَ التَّهْنَةَ . قَالَ : مَنْ أَنْتَ إِلَيْهِ الْمُتَكَلِّمُ . قَالَ : أَنَا عَبْدُ الْمَطْلَبِ بْنُ هَاشِمٍ .

(١) العقد الفريد . ج ١ ص ٦٧٥ وما يليها .

قال : ابن اختنا . قال : نعم . فأدناه وقربه ، ثم أقبل عليه وعلى القوم ، وقال : مرحبا واهلا . « ثم استنهضوا إلى دار الضيافة والوفود ، وأجرى عليهم الانزال . » ويقول أبو الصلت ، والد أمية بن أبي الصلت الشاعر المشهور ، في الملك سيف :

الى ان يقول :  
انك عمري لقد اسرعت ارفالا  
انك بيني الاحرار يقدمهم  
حتى اني من السنين ، لقد ابعدت ايفالا  
ثم اثنى نحو كسرى بعد تاسعة  
فلم يجد عنده القول الذي قالا  
أنى هرقل وقد سالت نعمته  
بلج في البحر للاعداء احوالا

أرسلت اسدًا على سود الكلاب فقد  
غادرت اوجهم في الأرض أفلالا  
اشرب هنيئًا عليك الناج مرتفعا  
في رأس غـدان داراً منك محلا

ثم أظل بالمسك اذ سالت نعامتهم  
واسبل اليوم في بوديك اسپالا  
تلك المكارم لا قعبان من لبن  
شیبا بناء فعادا بعد ابوالا

### صنعاء عاصمة الملك

جعل الملك سيف مقر حكمه في صنعاء ، وفيها يومذاك -  
قصور من اضخم قصور الدنيا واروعها بناء .  
وكانـت صنـاء كـبرـى مـدن الـيـمن ، فـيـها صـنـاعـة وـفـيهـا  
تجـارـة لم تـصل إـلـيـها بلـدـ فيـالـعـالـمـ فيـذـلـكـ التـارـيخـ .  
وـحـسـبـكـ انـ تـعـودـ إـلـىـ قولـ سـيفـ لـكـسـرىـ : « جـبالـ  
بـلـادـيـ ذـهـبـ وـفـضـةـ » حتـىـ تـعـلمـ مـبـلـغـ ماـ وـصـلـتـ إـلـيـهـ المـدـنـيةـ  
فيـ عـصـرـ اـبـنـ ذـيـ يـزنـ .

ولعلـ بنـاءـ صـنـاءـ - فيـ مـكـانـهـ ذـاكـ - منـ جـمـةـ الـادـلةـ  
علىـ حـسـنـ التـخـيرـ عـنـ الدـعـرـ لـمـوـاقـعـ الـمـنـاعـةـ ، منـ جـهـةـ ، وـمـنـ جـهـةـ  
أـخـرـىـ لـمـوـاطـنـ الـجـمـالـ ، فـهـيـ مـنـيـعـةـ بـجـيـالـهـ ، جـمـيـلـةـ رـائـعةـ بـاـ  
يـحـفـ بـهـاـ مـنـاـظـرـ خـلـابـةـ وـمـنـ اـنـهـارـ وـزـهـرـ وـاسـجـارـ . وـقـدـ  
قـالـ تـبـعـ يـضـفـ صـنـاءـ :

إن فحيطان اذ بناها ، بناها بين بربة وبين بحصار  
 نطق بالكر يوم والتخل والز رع واصناف طيب الاشجار  
 وتسخ العيون فيها فما يسمع إلا تسلل الانهار  
 ليس يؤذهم فيها وهج الحر ولا القر في زمان افتخار  
 طاب فيها النبات والماء والنور ، وليل مطيبة كالنهار  
 ان آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار  
 هذه الصورة الرائعة لصناعة ، تدرك معها أية مدينة  
 كانت صناعة ، وفي ذلك الزمن البعيد ، وتدرك اي عقل  
 مبدع العقل العربي ، واي ذوق رفيع يبدو الذوق العربي ،  
 حينما يعيش هذا العربي في ظلال الحرية ، وتتوفر له الوسائل  
 الصالحة للإنشاء والابداع ، في نطاق الاطمئنان الى ما  
 يعتبره عدلا وأمنا وعزوة وحسن حال ..

### قصور اليمن

القصور التي كانت في اليمن كثيرة . وقد ظل ذكرها  
 في فالتاريخ الى ما بعد الدعوة الاسلامية بقرون ...  
 وكان العرب يذكرونها بكثير من الأسف والحسنة ، لأن  
 الأحباش خربوا معظمها ، ودكوا من اسهامها ما استطاعوا

إلى ذلك من سبيل .

ومن أشهر القصور ، الذي يصح أن يطلق عليها اسم  
فلاع ، لضخامتها : غمدان ، ناعط ، يعرق ، ذي لعوة «  
ربدة ، سليمان ، شرار ، يبنون ... وغيرها»<sup>(١)</sup> .

وقد وصف الهمذاني بعض هذه القصور ، فقال إنها  
تنطق بالدر والجوهر<sup>(٢)</sup> . وأوجهها الأربع - اي جدرانها  
الخارجية الأربع - تختلف في اللون . واحد بمحجارة بيض  
وآخر بمحجارة سود ، وثالث بمحجارة خضر ، ورابع  
بمحجارة حمر .

### ناظمات السحاب

واللوك ما بقي في التاريخ من وصف لقصر يبنون العظيم ؛  
فقد كان مبنياً من عشرين سقفاً - او طابقاً كما تقول اليوم -  
وبين السقف والسفف عشرة اذرع . اي كان ارتفاعه مئتي  
ذراع . وغرفة العليا واسعة حتى كأنها الميدان الفسيح ،  
في كل زاوية تمثال أسد من نحاس ، مجوف ، ضخم ،

(١) هي قصور تشبه ما يسمونه عند الفرنجية : « chateau fort »

(٢) الأكيليل . للهمذاني ،

تدخل الريح فيه ، ولا تخرج منه حتى يسمع لها صفير خشن  
كزير الأسود .

وكان يُضاء بالخطب ، يُشعَّل في بعض زوابعه . وقال  
فيه الشاعر :

ورأيت الليل فيه من سنا العود نهارا  
وكان اليمنيون يقضون اعواماً كثيرة في بناء القصر  
الواحد . فقصر سلحين مثلاً قد تم بناؤه في سبعة وسبعين  
سنة . وانفق ان عمل في بنائه - مع الآباء - الأبناء والأحفاد .  
وهذا ما جعلهم ينحطون على الاحباش سخطاً شديداً جداً . فقد  
هدموا صروح مدنهما ، التي اكلت من جسومهم وجسوم  
ابنائهم ، ويشورون عليهم ثورة غذتها شيء كثير من حقد  
ومن موجدة .

وفي داخل القصور هذه كانت تغرس الجنان ، وتحري  
المياه ، ويطير الطير في جو فسيح .

وفي قصر نمدان قال علقة بن ذي يزن<sup>(١)</sup> :

فذاك نمدان مجزلاً بناؤه العجب العجيب  
اعلاء مبهمة رخام عال وأسفله جروب

(١) المصدر السابق .

وكان السقف من سقوف غمدان مؤلفاً من قطعة رخام واحدة . وفي هذا ما فيه من روعة الفن ودقة النحت التي يعجز عنها العصر الحديث بما أوفي من علم الآلة ووفرة الأدوات .

وقد ورد ذكر سباً - اليمن - في القرآن الكريم :  
« لقد كان سباً في مسكنهم آية جنتان عن عين وشمال ؛  
كما من رزق ربكم واشکروا له ؛ بلدة طيبة ورب غفور »

### سيف في غمدان

وبالرغم من ان الأحباش هدموا قصر غمدان ، إلا أنهم لم يستطيعوا محوه من الوجود . فقد خل بعظمته ، بقية ، يشتهي الناس ان يسكنوها ، حتى الملوك منهم .  
وقد جعل سيف مقره في بقايا غمدان . وفيه يقول علقمة :

فذاك غمدان بجزؤلا كأنه جبل منيف  
يسكنه ماجد أبي ترغم قدامه الأنوف  
و فيه ايضاً يقول أمية بن أبي الصلت :  
جلينا المدح تجفيه المطايها الى اسوار اجمال ونوق

نؤم بنا ابن ذي يزن وتناري  
ذوات بطنهم الم الطريق  
مغلولة مرابعهم ترامي الى صنعاء من فج عميق  
ولما واقعت صنعاء صارت بدار الملك والحب العريق

### مقتل الملك سيف

جاء في مصادر عديدة ان الملك سيف ، حكم في اليمن  
خمسة عشر عاماً . وانه مات مقتولاً . ولكن المصادر هذه  
لا تشير من قريب ولا من بعيد الى سبب مقتله ، وكيف  
دُبر ؟ ومن دُبره ؟ ونحن مع جهلنا الحقيقة حول هذا  
الحادث الخطير ؟ تراودنا فكرة لا نستطيع القطع بصحتها ،  
ولكننا نخاول ان نعرضها على القاريء ، بعد ان نبحثها  
ونعملها ما كان الى ذلك من سبيل :

اننا لا نعتقد ان احداً من العرب ، يبلغ به الطيش  
ان يقدم على قتل رجل كان نموذجاً من نماذج البطولة العربية  
والفكر العربي ، انقد بها قومه من الاستعمار والعبودية  
والذل . واحلص للعرب اخلاصاً نادر المثال .

وليس في سيرته - ملكاً - على قلة ما يعلم من هذه  
« السيرة الملكية » ، ما يمكن ان يكون عاملاً على سرقة

قومه له او سقدم عليهم . فمن هو اذن ذلك الجرم الذي  
اقدم على قتله ؟

وهل اقدم على ذلك مختاراً ، ام مدفوعاً مأجوراً ،  
ومن هم الذين استأجروه ودفعوه ؟ !

اذا نحن اردنا جواباً منطقياً عن هذا السؤال ، وجب  
عليها ان تُعمل الفكر ملياً ، في القلة الحبيشية التي بقيت  
في اليمن ودانت لحكمها .. فما يدورنا ان تكون الحبيشة  
المتوردة ، خللت على اتصال بهؤلاء الاحباش الذين بقوا في  
اليمن ، او بعضهم ، وجعلت منهم جواسيس مأجورين ،  
واستغلتهم لتنفيذ ما رأبها المستترة ، ومنها قتل الملك سيف ،  
انتقاماً منه ، وسقاء لغيل نسها بقتله : وهو الذي هزم قواتها  
الاحتلالية ، وقتل بها ، وحطمت كبرياتها وجلحتها عن اليمن ،  
وكان لها فردوساً او شبه فردوس ، اتنا ما نستطيع  
- بالنظر للاواعاد التي عرفناها - ان نسلط الشك الا على  
هؤلاء ؛ ونجيب اتنا ما نظلمهم في هذا الشك . على اتنا  
نعود فنقول ، اتنا نشك فحسب . وذلك بالنظر الى الاوضاع  
التي بعلناها . ولا نقطع . وممها يكن من امر ، فاننا نعتقد  
ان سيف راح شهيداً . وان حركة التحريرية في اليمن

تركت في نفوس العرب من بعده حسناً كان له تأثير  
غير البسيط في تقبل الرسالة الاسلامية والاقبال على  
الاسلام .

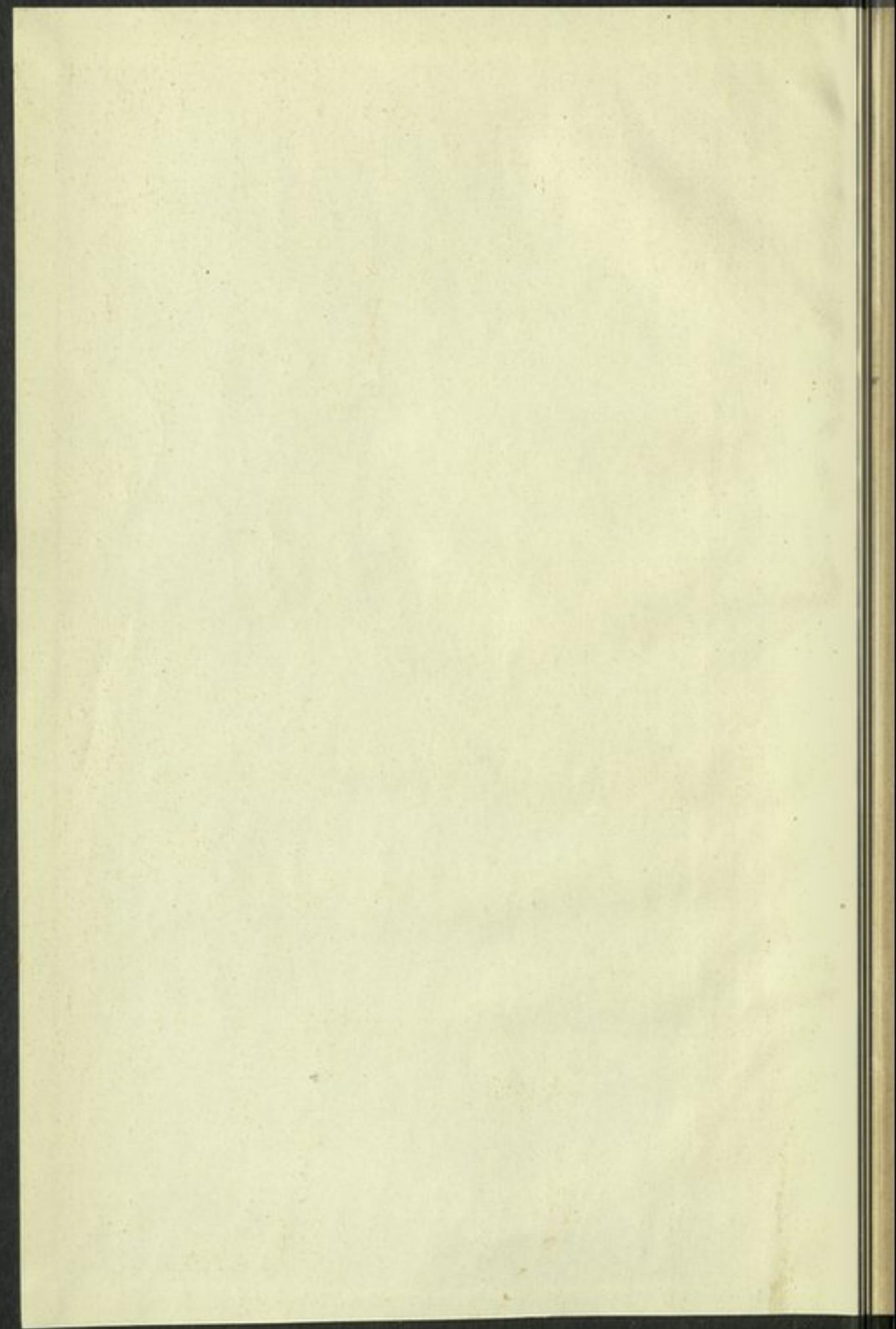


[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)



## مراجع الكتاب

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - دائرة المعارف . للبستاني
- ٣ - المقتبس - محمد كرد علي
- ٤ - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي
- ٥ - دائرة المعارف الإسلامية
- ٦ - « » للأب لامني
- ٧ - تاريخ العرب قبل الإسلام - الدكتور جواد علي
- ٨ - الآداب السلطانية - ابن الطقطقي
- ٩ - في العصر العباسي - الدكتور عبد العزيز الدورى
- ١٠ - العقد الفريد
- ١١ - الأكيل - للبهذانى
- ١٢ - قصص القرآن - محمد احمد جاد المولى ورفاقه
- ١٣ - الإسلام في الحبشه - يوسف احمد
- ١٤ - نبذة من قصة اليمن - مجلة النجم - الاب هياست
- ١٥ - نهاية الارب للألوسي
- ١٦ - بلوغ المرام في شرح مسک الخاتم - للعرشى
- ١٧ - قضية العرب - علي ناصر الدين



923.2  
T36t R  
v.2.